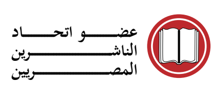

عالم البرزخ
سُؤَال وجَواب في ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّة









رقم الإيداع

بدار الكتب القطرية

٢٠٢١/١٤١

ترقيم دولي

978-992-715-202-3



الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١ م

بطاقة الفهرسة

الزيني، حامد
عالم البرزخ سؤال وجواب في ضوء الكتاب والسنة
تأليف حامد الزيني
قطر، الدوحة ٢٠٢١م.
٢٩٦ ص، ١٧ × ٢٤سم.
تدمك ٩٧٨٩٩٢٧١٥٢٠٢٣
١ – البرزخ – أسئلة وأجوبة
أ - العنوان

٢٤٣.٧٦

٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، الحي الثامن

مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١ محمول: ٠١٠٦٢٢٧٦٢٠٨

خدمة عملاء: ٠١١١٨٠٠٦٠٦٠

www.dar-alyousr.com
Email :alyousr@gmail.com
info@dar-alyousr.com

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾



سُؤال وجواب في ضوء الكتاب والسُّنَّة

تأليف

حامد الزيني

تقديم

فضيلة الشيخ

وحيد عبد السلام بالي

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد يسري إبراهيم







مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

وَحِيدُ عَبْدِ السَّلَامِ بَالِي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد:

فإن عالَم البرزخ من الأمور الغيبية التي ينبغي للمسلم أن يتوقف فيها على ما ثبت في القرآن الكريم، وصحيح السنة، ولا مجال للاجتهاد فيها؛ لأنها من عالم الغيب.

ولكن يجدُر بكل مسلمٍ أن يتأمل جيدًا ما سيلقاه هناك؛ لأنه سيقضي فيه عمرًا آخر قد يكون أضعاف أضعاف عمره في الدنيا، وذلك كله قبل قيام الساعة.

فما هو القبر؟

وما سعته؟

ومن ستقابله هناك؟

وما الذي سيحدث هناك؟

كيف ستنام؟

وكيف ستقضي أوقاتك؟

وما هي العقبات التي ستقابلك؟ وكيف ستتصرف؟

إلى غير ذلك من الأمور...

وقد وقفت على رسالة (عالم البرزخ) للأستاذ/ **حامد الزيني** ﷾، فوجدته قد استوعب معظم الأمور المتعلقة بالقبر والبرزخ، فهو بحثٌ مفيدٌ جدًّا.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن ينفع بهذا البحث عموم المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

وحيد عبد السلام بالي

٢ شعبان سنة ١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ الدكتور

مُحَمَّد يُسْرِي إبْرَاهِيم

الحمد لله خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وصلى الله وسلم وبارك على إمام الهدى، وخير الورى، نبينا محمد وعلى آله أئمة التُّقى، وأصحابه مصابيح الدُّجى، ثم أما بعد:

فالإنسان خَلق الرحمن، وهو يتقلَّب في أطوار هذه الحياة كل آنٍ، فتارةً هو جنين في بطن أُمِّه، وتارةً يخرجه ربُّه طفلًا، ثم يبلغ أَشُدَّه، ثم يكون شيخًا، ثم يموت فيدخل قبره، ثم يُبعَث فيُجازَى، ثم يكون القرار في الجنة أو في النار!

وقد عُني العلماء كثيرًا ببيان حال الإنسان وأحكامه في دنياه، وما ينتهي إليه في أخراه، وما يتعلق بحياته في برزخه كان حظها أقل؛ فجاءت هذه الرسالة الميسرة لتُميط اللِّثام عن كثير من المعلومات والأحكام، وقد جاءت صياغتها في سؤال وجواب، بمنهجيةٍ سديدةٍ، وعبارةٍ موفقةٍ رشيدةٍ، تستند في فحواها إلى نصوص الوحي المطهَّر، وأقوال السلف الصالح، وعلماء أهل السُّنة، وهي بهذا الوصف تقدم وصفًا ضافيًا، وبيانًا شافيًا لعالَم البرزخ، وما يكون فيه من حياةٍ خاصةٍ، كما تعرض لمسائل تتعلق بالدنيا والآخرة، وهي أخيرًا دعوةٌ للانتباه من

الرَّقدة، والحذر من الغفلة، وذكرى وموعظة، ودعوةٌ لليقظة، وتنبيهٌ إلى المسارعة بالتوبة، ونداءٌ إلى سعادة الدنيا والآخرة في خير دار.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٠].

فاللهمَّ انفع بها كاتبها، وقارئها، والناظر فيها، واجعل القبور بعد الموت من خير منازلنا، وأفسح لنا بها ضيق ملاحدنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتب

أبو عبد الله

محمد يسري إبراهيم

الدوحة في ٨/ ٨/ ١٤٤٢هـ

٢١/ ٣/ ٢٠٢١م



بين يدي الكتاب

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ فَإِنِّي بِاليَقِينِ أَشْهَدْ ** شَهَادَةَ الإِخْلَاصِ أَنْ لَا يُعْبَدْ
بِالحَقِّ مَعْبُودٌ سِوَى الرَّحْمَنِ ** مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا ** مَنْ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى
رَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الخَلْقِ ** بِالنُّورِ وَالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا ** وَآلِهِ وَالصَّحْبِ دَوْمًا سَرْمَدَا[١]

فاعلم- رحمك الله تعالى- أن كل إنسانٍ من بني آدم منذ خلقه الله تعالى يمر بمراحل خمسٍ، وإن شئت فقل: في عوالم خمسةٍ، وهي:

عالم الذَّر، ثم عالم الأجنَّة، ثم الدنيا، ثم عالم البرزخ، ثم إذا قامت الساعة يخلد

(١) الأبيات مأخوذة من منظومة سُلم الوصول للشيخ حافظ حكمي، وينظر كتابه معارج القبول (١/ ٤٦، ٤٧).

الإنسان في دار القرار، إما في الجنة، أو في النار.

أولًا: عالم الذَّر:

ففي هذا العالم كان الإنسان ذرَّةً في صُلب أبيه، وقد أخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على خلقه وهم فيه ميثاق الفطرة الذي جاء في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢، ١٧٣].

وفي هذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ- يَعْنِي: عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢، ١٧٣]»(١).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، قَالَ: «جَمَعَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٣).

إِلَهَ غَيْرِي، وَلَا رَبَّ غَيْرِي، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، قَالُوا: شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ، فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ»(١).

لذلك، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»(٢).

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٣).

وفي رواية أنه ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ حَتَّى يُعْرِبَ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ»(٤).

وقال النبيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَلَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٢٣٢)، والحاكم (٣٢٥٥)، وصححه، ووافقه الذهبي في التصحيح، وحسَّنه الألباني في المشكاة (١٢٢)، وقال في هداية الرواة (١١٨): هو في حكم المرفوع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

ثانيًا: عالم الأجنة:

وإليه ينتقل الإنسان حين تستقر النطفة من أبيه في رحم أمه.

فقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [سورة النجم:٣٢].

وفي هذا العالم يتقلَّب الجنين في بطن أمه أطوارًا، كما في قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [سورة الزمر:٦].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٤].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ»(١).

ثالثًا: الدنيا:

وإليها يخرج الإنسان من بطن أمه بالولادة؛ ليعيش امتحانًا في أوامر الله ونواهيه مُدَّة بقائه فيها، وقد بَيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٣).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك:٢]، فإذا جاءه مَلَكُ الموت وأعوانه، علم أن وقت الامتحان قد انتهى.

رابعًا: عالم البرزخ:

وإليه يذهب الإنسان حين خروجه من الدنيا بالموت، فقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩٩، ١٠٠].

والبرزخ عالم يستقر فيه الأموات من حين خروجهم من الدنيا إلى يوم القيامة، وفي هذا العالم يمرُّ الإنسان بأحداث عجيبة مهيبة، وهو عالم كبير فسيح، أعظم وأوسع بكثيرٍ من الحفرة التي تسمى: القبر، وهو أول منازل الآخرة، وسيأتي بيان ذلك وتفصيله معنا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

خامسًا: دار القرار في الجنة أو النار:

فإذا قامت القيامة بعث الله الأولين والآخرين، وجمع الخلائق أجمعين ليوم الحساب العظيم، وبعد البعث والحساب خلود لا موت فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [سورة يس:٥١].

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾: من القبور(١).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥٥) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ١٨٧).

وهذا اليوم الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [سورة هود:١٠٣-١٠٨].

لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٤].

قال قتادة- وهو تابعيٌّ من تلامذة الصحابة- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، حياة لا موت فيها(١).

فهنيئًا لمن كان خلوده في جنات النعيم، ويا حسرة من كان خلوده في عذاب الجحيم.

وإن هذا الكتاب الذي بين أيديكم جمعتُ فيه- بفضل الله وتوفيقه- كل ما يحتاج المسلم معرفته عن عالم البرزخ، وما فيه من أحداثٍ، أو على الأقل أغلب ما يحتاجه، وقد صُغْتُ ذلك في صورة سؤال وجواب؛ ليسهل فَهم ذلك على المسلمين جميعًا، وجعلت جواب كل سؤالٍ مقصورًا على ما جاء في القرآن، أو ما

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٠) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٧٦).

ثبت من السُّنة؛ وذلك لأن عالم البرزخ جزء من الغيب الذي لا يستطيع الإنسان التعرُّف على ما فيه إلا عن طريق الوحي الإلهي الذي هو قرآن ربنا العظيم، وسنَّة نبينا الكريم ﷺ، وأي محاولةٍ للتعرُّف على ما في هذا البرزخ، أو ما يشبهه من أمور الغيب تبعد عن منهج الوحي، فهي محاولة ساذجة تبدأ بالعبث، وتنتهي بالفشل.

ورحم الله العلَّامة ابن القيم حين قال:

لا يَسْتَقِلُّ العَقْلُ دُونَ هِدَايَةٍ ** بِالوَحْيِ تَأْصِيلًا وَلَا تَفْصِيلَا

كَالطَّرْفِ دُونَ النُّورِ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ ** حَتَّى تَرَاهُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا

فَإِذَا الظَّلَامُ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ ** وَطَمِعْتَ بِالإِبْصَارِ كُنْتَ مُحِيلَا

وَإِذَا النُّبُوَّةُ لَمْ يَنَلْكَ ضِيَاؤُهَا ** فَالعَقْلُ لا يَهْدِيكَ قَطُّ سَبِيلَا

نُورُ النُّبُوَّةِ مِثْلُ نُورِ الشَّمْسِ لِلْـ ** ـعَيْنِ البَصِيرَةِ فَاتَّخِذْهُ دَلِيلَا

طُرُقُ الهُدَى مَسْدُودَةٌ إِلَّا عَلَى ** مَنْ أَمَّ هَذَا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَا

فَإِذَا عَدَلْتَ عَنِ الطَّرِيقِ تَعَمُّدًا ** فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ وُصُولَا

يَا طَالِبًا دَرْكَ الهُدَى بِالعَقْلِ ** دُونَ النَّقْلِ لَنْ تَلْقَى لِذَاكَ دَلِيلَا[١]

واعلم- رحمك الله- أن هذا المنهج القائم على الوحي الإلهي في التعامل مع مثل هذه الغيبيات هو المنهج الصحيح الوحيد، وما سواه حَيْرَة وتخبُّط وضلال،

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٣/ ٩٧٩).

جَعلتْ هذا الشاعر البائس يقول:

جِئْـــتُ لا أَعْلَـــمُ مِـــنْ أَيْـــنَ وَلَكِنِّـــي أَتَيْـــتُ

وَلَقَـــدْ أَبْصَـــرْتُ قُـــدَّامِي طَرِيقًـــا فَمَشَـــيتُ

وَسَـــأَبْقَى مَاشِـــيًا إِنْ شِـــئْتُ هَـــذَا أَمْ أَبَيْـــتُ

كَيْـــفَ جِئْـــتُ؟ كَيْـــفَ أَبْصَـــرْتُ طَرِيقِـــي؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَجَدِيـــدٌ أَمْ قَـــدِيمٌ أَنَـــا فِـــي هَـــذَا الوُجُـــودِ؟

هَـــلْ أَنَـــا حُـــرٌّ طَلِيـــقٌ أَمْ أَسِـــيرٌ فِـــي قُيُـــودِ؟

هَـــلْ أَنَـــا قَائِـــدُ نَفْسِـــي فِـــي حَيَـــاتِي أَمْ مَقُـــودُ؟

أَتَمنَّـــــــــى أَنَّنِـــــــــي أَدْرِي وَلَكِـــــــــنْ...

لَسْتُ أَدْرِي

وَطَرِيقِـــي مَـــا طَرِيقِـــي أَطَوِيـــلٌ أَمْ قَصِـــيرُ؟

هَـــلْ أَنَـــا أَصْـــعدُ أَمْ أَهْـــبطُ فِيـــهِ وَأَغُـــورُ؟

أَأَنَـــا السَّـــائِرُ فِـــي الـــدَّرْبِ أَمِ الـــدَّرْبُ يَسِـــيرُ؟

أَمْ كِلاَنَـــا وَاقِـــفٌ وَالـــدَّهرُ يَجْـــرِي؟

لَسْتُ أَدْرِي

لَيــتَ شِـعْرِي وَأَنَـا فِـي عَـالَمِ الغَيْـبِ الأَمِـينِ

أَترانِـــي كُنْـــتُ أَدْرِي أَنَّنـــي فِيـــهِ دَفِـــينُ؟

وَبِـــأَنِّي سَـــوْفَ أَبْـــدُو وَبِـــأَنِّي سَـــأَكُونُ؟

أَمْ تُرَانِـــــي كُنْـــــتُ لاَ أُدْرِكُ شَــــيْئًا؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَتُرانِـــي قَبْلَمَـــا أَصْـــبَحتُ إِنْســـانًا سَـــوِيًّا

أَتُرانِــي كُنــتُ مَحــوًا أَمْ تُرانِــي كُنــتُ شَــيئًا؟

أَلِهـــذَا اللُّغْـــزِ حـــلٌّ أَمْ سَـــيَبْقَى أَبـــدِيًّا؟

لَسْـــتُ أَدْرِي... ولِمَـــاذَا لَسْـــتُ أَدْرِي؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَيُّهـــا القَبـــرُ تَكلَّـــمْ، وَأَخْبِـــرْني يَـــا رَمـــامُ

هَـلْ طَـوى أَحْلامَـك المـوتُ وهَـلْ مَـاتَ الغَـرامُ؟

مَـن هُـو المَائِـتُ مِـنْ عَـامٍ وَمِـنْ مِلْيُـونِ عَـامٍ؟

أَيَصِـــيرُ الوَقـــتُ فِـــي الأَرْمَـــاسِ مَحـــوًا؟

لَسْتُ أَدْرِي

إنْ يَـكُ المـوتُ رُقَـادًا بَعْـدَه صَـحوٌ طَوِيـلُ

فلِمَـاذَا لَـيْسَ يَبْقَـى صَـحوُنَا هَـذا الجَمِيـلُ؟

ولمـاذَا المَـرءُ لَا يَـدْرِي مَتـى وَقـتُ الرَّحيـلِ؟

ومَتَـــى يَنْكشـــفُ السِّـــرُّ فَيَـــدْرِي؟..

لَستُ أَدْرِي

إنْ يَـكُ المـوتُ هُجُوعًـا يَمـلأُ الـنَّفسَ سَـلامَا

وَانْعِتاقًـــا لَا اعْتِقـــالًا وَابْتِـــدَاءً لَا خِتامَـــا

فَلمَـاذَا أَعْشَـقُ النَّـومَ وَلا أَهْـوَى الحُمَامَـا؟

ولمـــــاذَا تَجـــــزَعُ الأَرْوَاحُ مِنْـــــهُ؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَوَرَاءَ القبـرِ بَعـدَ المَـوتِ بَعـثٌ ونُشُـورُ؟

فَحَيـــــاةٌ فخُلـــــودٌ أَمْ فَنـــــاءٌ ودُثُـــــورُ؟

أكَـلامُ النَّـاسِ صِـدقٌ أَم كَـلامُ النَّـاسِ زُورُ؟

أَصَـــحِيحٌ أَنَّ بَعـــضَ النَّـــاسِ يَـــدْرِي؟

لَسْتُ أَدْرِي

إنْ أَكُـنْ أُبْعَـثُ بَعْـد المَـوتِ جُثمانًـا وعَقْـلَا

أتُـرَى أُبْعَـثُ بعضًـا أَمْ تُـرَى أُبْعَـثُ كُـلَّا؟

أتُـرى أُبْعـثُ طفـلًا أَمْ تُـرَى أُبْعَـثُ كَهْـلَا؟

ثـمَّ هَـل أَعْـرِفُ بعـدَ المَـوْتِ ذَاتِـي؟

لَسْتُ أَدْرِي[1]

والحمد لله رب العالمين، فإن أجوبة كل هذه التساؤلات البائسة متوافرة في كتاب ربنا الحكيم، وسنَّة نبينا الكريم ﷺ.

فالمؤمن مَثَلُهُ ومَثَلُ من يعاني من هذه الحيرة، ويتخبَّط في ظلمات هذا الضلال كالبصير الذي يحمل مشعل النور في طريقٍ مظلمٍ يسير فيه العميان.

---

(١) الشاعر هو: إليا أبو ماضي، والأبيات من قصيدة له بعنوان: «الطلاسم»، من ديوانه «الجداول» (ص١٠٦).

وما أجمل قول ربي سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [سورة محمد:١٤]!

وما أسعدنا بقول الله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]!

ومن أراد أن يذوق طعم هذه الحياة على بيِّنة وبصيرة، فليستجب لنداء ربه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد:٢٨].

والآن أيها القارئ الكريم، أدعوك أن نعيش معًا لحظات ممتعة مع أسئلة هذا الكتاب وأجوبته حول عالم البرزخ وأحداثه في ضوء الكتاب والسنة.

كتبه

حامد الزيني

ليلة الأربعاء بين صلاتي المغرب والعشاء

٤ رجب ١٤٤٢هـ - ١٦ فبراير ٢٠٢١م



السؤال الأول

ما البرزخ؟

الجواب[١]: البرزخ في لسان العرب هو الحاجز بين الشيئين، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [سورة الفرقان:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [سورة الرحمن:١٩، ٢٠].

والبرزخ في الشرع: هو الدار التي تعقب الموت إلى يوم البعث والحساب، فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩٩، ١٠٠].



(١) ينظر في ذلك لسان العرب لابن منظور (٣/ ٨)، والقيامة الصغرى للأشقر (ص١٥).

السؤال الثاني
هل الإيمان بالبرزخ وما فيه من أحداث جزءٌ من الإيمان باليوم الآخر؟

الجواب: نعم.

فعالم البرزخ هو أول منازل الآخرة؛ لقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»[(١)].



(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨)، وحسنه الترمذي، والألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤).

السؤال الثالث

هل القبر هو البرزخ؟

الجواب: اعلم- رحمك الله- أن القبر وما يحدث للإنسان فيه بعد موته هو جزءٌ من عالم البرزخ؛ لأن عالم البرزخ كبير فسيح، دخله النبيُّ ﷺ، ورأى فيه الأعاجيب، وسنُبيِّن ذلك إن شاء الله، فهو أوسع بكثيرٍ جدًّا من الحفرة التي تسمى القبر، وإن الجسد في القبر مصيره إلى الفناء، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

وفي لفظٍ: «كُلَّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[2]، وتبقى الروح في نعيم أو عذاب إلى أن يشاء الله، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

ولقد استُخْدِمَ في الأحاديث لفظ «القبر» بدلًا من «البرزخ»؛ لأن غالب من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

يموت من البشر يدفن في قبر، فجرى الكلام مجرى الغالب، ولأن القبر في هذه الحالة يكون من المحطات الأولى في عالم البرزخ.

ولا تنسَ- أيها القارئ- أن هناك أناسًا يموتون ولا يدفنون في قبورٍ؛ كالذي تلتهمه السِّباع في الصحراء، أو تأكله الأسماك في الماء، أو تنفجر فيه قنبلة أو طائرة، فيتبعثر جسده في الهواء، أو يحترق في النار فيصير رمادًا، وهناك بعض الديانات من أصول عقيدتها المنحرفة: حرق جسد الميت حتى يفنى، فهؤلاء وغيرهم ينتقلون بالموت من الدنيا إلى عالم البرزخ، وسيحدث لهم ما يحدث للمقبور تمامًا، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله[(١)].

وكل هذا الذي ذكرته سيأتي تفصيله، والأدلة عليه من القرآن والسُّنة في الأسئلة والأجوبة الآتية إن شاء الله تعالى.



(١) ينظر في ذلك كتاب الروح، لابن القيم (ص٩١)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٤٠٠).

السؤال الرابع

كيف نتعرف على ما يدور من أحداث في عالم البرزخ؟

اعلم- رحمك الله- أن الكون بالنسبة لنا غَيْبٌ وشَهادةٌ، لذا قال الله تعالى عن نفسه في مواضع عديدة من القرآن: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ [سورة الأنعام:٧٣]، [سورة التوبة:٩٤]، [سورة التوبة:١٠٥].

فَعالَمَ الشهادة هو عالَمُ الأكوان الظاهرة الذي نعيش فيه، وتدركه الأبصار، ونتعامل فيه بحواسِّنا.

أما عالَم الغيب، فهو العالَمُ الذي لا تدركه الأبصار، ولا يقع تحت الحواس، وهو على قسمين:

القسم الأول: غيب، كلما اتسعت بالإنسان دائرة العلوم والمعارف، توصَّل وتعرَّف على شيءٍ مما فيه، وقد جعل الله هذه المساحة متاحةً للإنسان حتى يتبيَّن له أن الله هو الحق، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت:٥٣].

والقسم الثاني: غيب لا يستطيع الإنسان التعرُّف على ما فيه مهما اتسعت به دائرة العلوم والمعارف إلا عن طريق الوحي الإلهي؛ كالتعرف على أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، والتعرف على عالَم الملائكة، والآخرة بما فيها من أحداث وجنة ونار، إلى غير ذلك مما يترتب عليه الثواب والعقاب، والإيمان به هو أول صفةٍ لأهل الهداية والتقى في كتاب الله الكريم، فقد افتتح اللهُ سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة:١-٣].

وعالَم البرزخ الذي هو أول منازل الآخرة- كما سنبين إن شاء الله- من القسم الثاني الذي لا يستطيع الإنسان بعقله أو حواسه التعرف على ما فيه إلا عن طريق الوحي الإلهي[1].



(١) وللتوسع في هذا البحث ينظر كتاب: مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف للأستاذ الدكتور/ إدريس مُولُودي، الصادر عن دار السلام للطباعة والنشر.



السؤال الخامس

ما الوحي الإلهي الذي يُتعرف به على أمور الغيب؟

الجواب: هو القرآن العظيم، وما ثبت من سُنَّة النبيِّ الكريم ﷺ.

فمن الخطأ الجسيم، والضلال العظيم أن يعتقد العبد أن الوحي المُنَزَّل هو القرآن فقط؛ لأن الوحي الذي يجب اتباعه، ويُفهم الدين من خلاله هو القرآن والسُّنَّة التي هي بيان القرآن وتفسيره.

- **والأدلة على ذلك كثيرة، منها:**

قوله تعالى عن النبيِّ ﷺ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [سورة النجم:١-٥].

وقد بَيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا وظيفة النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:٤٤].

لذا، قال الله تعالى لعباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء:٥٩].

وأمرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قائلًا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(١)، وقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ الوحي الذي آتاه الله إياه بقوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(٢).

وقوله ﷺ: «وَمِثْلَهُ مَعَهُ»: يقصد به السُّنَّة التي هي بيان القرآن وتفسيره(٣).

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بخروج طائفةٍ ضالةٍ ستترك سُنَّة النبيِّ ﷺ، وستقول للناس: عليكم بكتاب الله فقط، وذلك في قوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(٤).

وفي لفظٍ: «يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»(٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١).
(٢) أخرجه أحمد (١٧١٧٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٩).
(٣) انظر شرح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٠١)، وتأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (١/ ٤٤٣).
(٤) أخرجه أحمد (١٧١٧٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٩).
(٥) أخرجه أحمد (١٧١٩٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٧٣).

لذا، قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أسمع أحدًا نسبه الناس، أو نسب نفسه إلى علمٍ يخالف في أن فرض الله ﷻ اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه بأن الله ﷻ لم يجعل لأحدٍ بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حالٍ إلا بكتاب الله، أو سُنَّة رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ»[1].

فالخلاصة: لابد أن تعلم- رحمك الله- أن الوحي الإلهي الذي ستتعرف على أحداث البرزخ من خلاله هو القرآن، وما ثبت من السُّنَّة النبوية.



(١) كتاب الأم، للشافعي (٧/ ٢٧٣).

السؤال السادس

هل تَحَدَّثَ القرآنُ عنْ نَعِيم البرزخ وعَذَابه؟

الجواب: نعم.

لقد تحدَّث القرآن الكريم عن نعيم البرزخ وعذابه في عددٍ من آيات سُوَره، سنذكر شيئًا منها، مع بيان تفسير النبيِّ ﷺ، أو تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبعضها.

وقُلْتُ: «أو تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»؛ لأنه أحد الطرق التي يُعرف بها تفسير الآية عند المفسرين، فهم تلامذة النبيِّ ﷺ، وقد حضروا تنزيل القرآن، وسمعوا بيانه وتفسيره من رسول الله ﷺ، وتفسيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للآيات التي تتحدث عن مثل عالم البرزخ وغيره من الغيبيات له حكم المرفوع[1].

أولًا: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩-١٧١].

(١) ينظر في ذلك: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص٩٥)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (٢/ ٥٣٣)، وأصول التفسير ومناهجه، للدكتور/ فهد الرومي.

وفي هذه الآيات الكريمات قال النبيُّ ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ ﷻ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ»، فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات[1].

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة غافر:٤٥،٤٦].

فيُخْبِرنا ربنا جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية أن فرعون ومَنْ كفر معه بعد موتهم غَرَقًا يُعرضون في برزخهم على النار صباحًا ومساءً إلى أن تقوم الساعة، فإذا قامت القيامة سيلاقون في النار أشد العذاب[2]، وفي مثل هذا المعنى قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[3].

ثالثًا: قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٨)، وأبو داود (٢٥٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٥).
(٢) انظر صحيح تفسير ابن كثير (٤/ ٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

وقد قال النبيُّ ﷺ في هذه الآية الكريمة: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]»[1].

وفي لفظ مسلم قال ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧] قال: (نَزَلَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧])»[2].

رابعًا: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤].

وقد قال النبيُّ ﷺ في هذه الآية الكريمة: «أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤]، أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ ﷺ: عَذَابُ الكَافِرِ فِي قَبْرِهِ»[3].

خامسًا: قول الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الطور:٤٥-٤٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧١).

(٣) أخرجه ابن حبان (٣١٢٢)، وأبو يعلى (٦٦٤٤)، وحسنه الأرنؤوط، وكذلك الألباني في التعليقات الحسان (٣١١٢)، وحسنه الهيثمي في المجمع (٤٢٨٦)، وأخرجه الحاكم بلفظ آخر (٤٩٣٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الطور:٤٧]: «عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة»[١].

وروى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الطور:٤٧]»[٢].

وهناك آيات قد يُفْهم منها أنها تتحدث عن عذاب البرزخ، منها:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة:١٠١].

قال التابعي الجليل قتادة بن دِعَامة: «﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ [سورة التوبة:١٠١] عذاب الدنيا، وعذاب القبر»[٣].

أي: أن هؤلاء المنافقين سيُعذِّبهم الله قبل يوم القيامة مرتين، مرة في الدنيا، ومرة في القبر، وإذا قامت الساعة يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ.

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ٦٠٣) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٣٩٨).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٦٠٣).
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٦) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٢/ ٤٨٣).

ﱡﭐ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﱠ [سورة الأنعام:٩٣].

فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الجنائز من (صحيحه): (باب ما جاء في عذاب القبر)، وصدَّر الباب بهذه الآية الكريمة[١].

ثالثًا: قول الله تعالى عن قوم نوحٍ: ﱡﭐ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﱠ [سورة نوح:٢٥].

قال فخر الدين الرازي في (تفسيره): «تمسَّك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى: ﱡﭐ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﱠ، وذلك من وجهين:

الأول: أن الفاء في قوله: ﱡﭐ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﱠ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء- قلت: وذلك لأن الفاء في لسان العرب تفيد التعقيب بلا مهلة-.

الثانــي: أنه قال: ﱡﭐ فَأُدْخِلُوا۟ ﱠ على سبيل الإخبار عن الماضي[٢].

وقال شهاب الدين الألوسي في (تفسيره): ﱡﭐ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﱠ هي نار البرزخ، والمراد عذاب القبر، ومن مات في ماءٍ أو نارٍ، أو أكلته السِّباع، أو الطير مثلًا، أصابه ما يصيب المقبور من العذاب[٣].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٧).
(٢) تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للفخر الرازي (٣٠/ ٦٥٩).
(٣) روح المعاني، لشهاب الدين الألوسي (٣٠/ ١١٦).



السؤال السابع

هل صرَّحَ النبيُّ ﷺ في أحاديثه بوجود نعيم وعذاب في البرزخ؟

الجواب: نعم.

فقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت نعيم البرزخ وعذابه، ومن ذلك:

أولًا: قوله ﷺ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»(١).

ثانيًا: قوله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَلَّا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»(٢).

ثالثًا: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ يُعلِّمنا هؤلاء الكلمات، كما تعلَّم الكتابة: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ)»(٣).

ونكتفي بهذه الثلاثة؛ لأن الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة التي تتحدث عن عذاب القبر ونعيمه يصعب إحصاؤها من كثرتها.



(١) أخرجه البخاري (١٣٧٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٩٠).

السؤال الثامن

هل نعيم البرزخ وعذابه خاص بأمة مُحمد ﷺ فقط؟

الجواب: لا.

بل هو لمن مات من جميع الأمم، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة غافر:٤٥، ٤٦].

وقوله تعالى عن قوم نوحٍ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [سورة نوح:٢٥].

وقول النبيِّ ﷺ عن بني إسرائيل: «أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيَ صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ البَوْلُ قَطَعُوا مَا أَصَابَهُ البَوْلُ مِنْهُمْ، فَنَهَاهُمْ فَعُذِّبَ فِي قَبْرِهِ»(١).

وقول النبيِّ ﷺ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٥٨)، وأبو داود (٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

وقوله ﷺ: «**خَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ، فَأَخَذَتْهُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا**- أَوْ قَالَ: يَتَلَجْلَجُ فِيهَا- **إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[(١)].

وقال زيد بن ثابتٍ الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلةٍ له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: (**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟**)، فقال رجل: أنا. قال ﷺ: (**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**)، قال: ماتوا في الإشراك، فقال ﷺ: (**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَلَّا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**)»[(٢)].

وعن أُمِّ مبشرٍ الأنصارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار، فيه قبور منهم، قد ماتوا في الجاهلية، فسمعهم وهم يُعذَّبون، فخرج وهو يقول: (**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**). قلت: يا رسول الله، وإنهم ليعذبون في قبورهم؟ قال: (**نَعَمْ، عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ**)»[(٣)].



---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥٧٨٩)، وأخرجه الترمذي عن ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢٤٩١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٠٤٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٤٥).

السؤال التاسع

هل يوجد ما يسمى بسكرات الموت؟

الجواب: نعم.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [سورة الأنعام:٩٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ، أَوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ»(٢).

وسكرة الموت: هي شدته وغلبته على فهم الإنسان؛ كالسَّكْرة من النوم أو الشراب(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٥٦)، والترمذي (٩٧٨)، واللفظ له، وصححه الحاكم (٣٧٣١)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في فقه السيرة (ص٤٦٤).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٢٧).

وغمرات الموت: هي سكراته، والغَمَرات جمع غَمْرة. وغمرة كل شيءٍ: كثرته ومعظمه، وأصله: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها[١].



(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ٤٠٩).

السؤال العاشر

هل المؤمن يشعر بسكرات الموت؟

الجواب: نعم.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن من نِعَم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ تُوفِّي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْري ونَحْري[1]، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل عليَّ عبد الرحمن- ابن أبي بكر- وبيده السواك، وأنا مُسْندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أنْ نَعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: أُلَيِّنه لك؟ فأشار برأسه: أَنْ نَعم، فَلَيَّنْته، فأمرَّه، وبين يديه رَكوة أو عُلْبة فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، يقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ)، قالت: ثم نصب يده، فجعل يقول: (فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى)، حتى قُبض ومَالت يده»[2].

---

(١) أي: مات ﷺ ورأسه بين حنكها وصدرها. فتح الباري (١٢/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

وفي روايةٍ قالت: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت، وعنده قدحٌ فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: (**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ المَوْتِ**)»[1].

وفي رواية: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ**»[2].

وسكرات المؤمن في حق المؤمن تكون تكفيرًا لسيئاته، ومضاعفةً لأجره، ورفعةً لدرجاته، وأما النبيُّ ﷺ الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا شك أن سكرات الموت له مضاعفةً لأجره، ورفعةً لدرجاته ﷺ.

فعن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنَّك لتُوعك وعكًا شديدًا؟ قال: (**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**). قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: (**أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**)»[3].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣٥٦)، والحاكم (٣٧٣١)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في فقه السيرة (ص٤٦٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٩٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٢).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَرَضٍ أَوْ وَجَعٍ، يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ»(١).

وقال ﷺ: «لَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(٢).

أما الشهيد الذي قُتل في سبيل الله تعالى، فقد قال عنه النبيُّ ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ القَرْصَةَ يُقْرَصُهَا»(٣).

فاعلم أنه ليس في سكرات الموت أو آلامه أي علامة سوء للمؤمن، بل هي خير له، ومصداق ذلك قول أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مات رسول الله ﷺ وإنه لبَين حَاقِنتي وذَاقِنَتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد ما رأيت رسول الله ﷺ»(٤).

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «ما أَغْبط أحدًا بهونِ موتٍ بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ»(٥).



---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣٣٨)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (٧٨٥٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (٧٩٥٣)، والنسائي في الكبرى (٤٣٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٩٧٩)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٣٢٥).

السؤال الحادي عشر

هل الإنسان يُبَشَّرُ بالنعيم أو العذاب عند الاحتضار؟

الجواب: نعم.

فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تخبر أن المؤمن تُبَشره الملائكة بالنعيم عند الاحتضار، وأن الكافر والمنافق والفاجر تُبَشره الملائكة بالعذاب عند الاحتضار، وإليك بعض الأدلة على ذلك.

أولًا: بشارة الملائكة للمؤمن عند الاحتضار:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل:٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة فصلت:٣٠].

قال التابعيُّ المُفَسر مُجاهد بنُ جَبر في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [سورة فصلت:٣٠]: عند الموت(١).

وهؤلاء الملائكة يسمون ملائكة الرحمة، كما في قول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(٢).

وقد أخبرنا النبيُّ ﷺ بأوصافهم، وموضع جلوسهم من الْمُحْتَضَر، فقال ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ»(٣).

وقد أخبر النبيُّ ﷺ ببشارتهم للمُحْتَضَر، فقال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَتَقُولُ: اخْرُجِي إِلَى رَوْحِ اللهِ»(٤).

وهؤلاء هم أعوان مَلَك الموت الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦١].

وهذا ما أخبر به النبيُّ ﷺ بقوله: «وَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ مِنَ الجَنَّةِ بِيضُ الوجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِهَا، فَيَجْلِسُونَ

---

(١) قال في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٣٧٥): أخرجه ابن جرير الطبري بسنده الصحيح.
(٢) أخرجه ابن حبان (٣٠٣١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣٠٠٢).
(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤١).
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٩٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).

مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، فَإِذَا قَبَضَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾»[1].

وهذه الآية عامة في ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، فكلاهما أعوان مَلَك الموت.

ثم تأتي بشارة ملك الموت للعبد المؤمن، كما أخبرنا النبيُّ ﷺ قائلًا: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ:»[2]، «اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً»[3]، «اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ»[4]، «اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ الله وَرِضْوَانٍ»[5]، «وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ»[6].

وعندما يرى المؤمنُ ويسمع هذه البشائر السارَّة يحب أن تخرج روحه ليلقى اللهَ، وما أُعد له من النعيم.

---

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠٢).
(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٩٧٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).
(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٦٨).

فقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهَ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال ﷺ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرفوع: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ، وَيُعَايِنُ مَا يُعَايِنُ، فَوَدَّ لَوْ خَرَجَتْ - يَعْنِي: نَفْسَهُ - وَاللهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ»[2].

ثانيًا: بشارة الملائكة للكافر والمنافق والفاجر بالعذاب عند الاحتضار:

اعلم - رحمك الله - أن من البشر مَنْ تنهال الملائكة عليه ضربًا وتوبيخًا عند الاحتضار، مع ما تُبشِّره به من العذاب.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة الأنفال: ٥٠، ٥١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٧).
(٢) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨).

يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [سورة محمد: ٢٥-٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٩٣].

وهؤلاء الملائكة يسمون ملائكة العذاب، وهم أعوان مَلَك الموت، فقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الكَافِرَ، أو المنافق، أو الفَاجِرَ، أو الرجل السُّوء[1] «إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ العَذَابِ»[2].

وقد أخبرنا النبيُّ ﷺ بأوصافهم، وموضع جلوسهم من المُحْتَضَر، فقال ﷺ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ العَذَابِ»[3] «غِلَاظٌ شِدَادٌ»[4] «سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ[5]، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ»[6]، «فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ

(١) انظر صحيح البخاري (١٣٣٨).
(٢) أخرجه النسائي (١٨٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).
(٣) أخرجه النسائي (١٨٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).
(٤) أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٥) وقوله ﷺ: «مَعَهُمُ المُسُوحُ»، جمع المِسْح بالكسر، وهو اللباس الخشن، كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٧٩).
(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

الخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ[(١)]»[(٢)] «اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ ﷻ»[(٣)].

ثم تأتي بشارة مَلَك الموت له، كما أخبرنا النبيُّ ﷺ قائلًا: «ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»[(٤)].

وعندما يرى ويسمع هذا العبد تلك البشائر المرعبة، تتفرق روحُه في جسده؛ خوفًا من لقاء الله العظيم، والله يكره لقاءه.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[(٥)]، وقال ﷺ: «فَتُفَرَّقُ- رُوحُهُ- فِي جَسَدِهِ»[(٦)] «فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ رُوحُهُ أَبَدًا، وَاللهُ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ»[(٧)].

---

(١) «الحميم»، أي: ماء حار غاية الحرارة، و«الغساق» هو صديد ونتن أهل النار، و«آخر من شكله أزواج»، يعني: وأصناف أخرى تشابه ذلك من العذاب، وانظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٣١٩).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٧٨)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، وصححه الألباني في المشكاة (١٦٢٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٩٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٠٧).

(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٧) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨).

بل ويطلب من الله جَلَّ وَعَلَا أن يؤجل موته ولو إلى وقتٍ قريبٍ ليتوب ويكون من الصالحين، ولكن كتب ألَّا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها.

وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩٩، ١٠٠].

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون:٩-١١].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام:٢٨].



السؤال الثاني عشر

هل قراءة سورة (يس) تخفف على المؤمن شدة الموت؟

قال الإمام أحمد بنُ حنبل: «حدَّثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني المَشْيخة، أنهم حضروا غُضَيف بن الحارث الثُّمالي حين اشتد سوقه[(١)]، فقال: هل منكم أحدٌ يقرأ (يس)؟ قال: فقرأها صالح بن شريح السَّكُوني، فلما بلغ أربعين منها قُبِضَ، قال: وكان المشيخة يقولون: إذا قُرئت عند الميت، خُفِّف عنه بها»[(٢)].

وفي روايةٍ عن أسد بن وَدَاعة قال: «لما حضر غُضَيف بن الحارث الموتُ، حضر إخوته فقال: هل فيكم من يقرأ سورة (يس)؟ قال رجلٌ من القوم: نعم، فقال: اقرأ ورتِّل، وأنصتوا، فقرأ ورتل، واستمع القوم، فلما بلغ: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس:٨٣] خرجت نفسه. قال أسد: فمن حضره منكم الموت، فشدد عليه الموت، فليقرأ عليه (يس)، فإنه يخفف عليه الموت»[(٣)].

---

(١) قوله: «حين اشتدَّ سُوقه»، يعني: حين اشتد عليه الاحتضار، وانظر مجمع بحار الأنوار (٣/ ١٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٦٩)، وحسنه الأرنؤوط، ومن قبله حسنه ابن حجر في الإصابة (٣/ ١٨٤)، وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ١٥١).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٦٩).

وقد روى أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «**اقْرَءُوا (يس) عَلَى مَوْتَاكُمْ**»[١]، وفي لفظٍ: «**عِندَ مَوْتَاكُمْ**»[٢].

واستَحب قراءتها عند المحتضَر: الحنفية والشافعية والحنابلة[٣].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمية: «والقراءة على الميت بعد موته بدعة بخلاف القراءة على المحتضَر، فإنها تستحبُّ بـ (ياسين)»[٤].



(١) أخرجه أحمد (٢٠٣٠١)، وأبو داود (٣١٢١)، وقد ضعَّفه ابن حجر في التلخيص (٢/ ١٠٤)، وضعَّفه الألباني في الإرواء (٦٨٨)، وكذلك ضعَّفه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٤٨)، وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين (٢/ ١٩١)، والمجموع للنووي (٥/ ١٠٥)، والكافي، لابن قدامة (١/ ٣٥٢).

(٤) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٥/ ٣٦٣)، طبعة: دار الكتب العلمية.

السؤال الثالث عشر

هل مَلَكُ المَوتِ اسمه عزرائيل؟

اعلم- رحمك الله- أن الملائكة جزءٌ من عالم الغيب الذي لا يُمكن التعرُّف على ما فيه إلا عن طريق الوحي الإلهي- القرآن والسُّنَّة- واعلم أنه لم يَرِدْ في القرآن الكريم، ولا فيما ثبت عن النبيِّ ﷺ أن مَلَك الموت اسمه: عزرائيل، بل لم يُذكر إلا بمَلَك الموت، كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة:١١]، والأحاديث الثابتة التي جاءت عن النبيِّ ﷺ كلها تطلق عليه: ملك الموت فقط.

فتسمية ملك الموت بـ (عزرائيل) لا أصل لها، ولكنه قد شاع بين الناس بسبب الإسرائيليات المنقولة إلينا، ويجب على المؤمن في مثل هذه الغيبيات الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة.



السؤال الرابع عشر

كيف تخرج روح المؤمن، وماذا يحدث عند خروجها؟

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ»[(١)] «فَوَدَّ لَوْ خَرَجَتْ -يَعْنِي: نَفْسَهُ»[(٢)] «فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ، وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ»[(٣)]، «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ»[(٤)]، «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ»[(٥)] «حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٢) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨).
(٣) أخرجه أحمد (٣٨٥٣١)، وصححه الأرنؤوط.
(٤) أخرجه أحمد (٢٥٠٩٠)، وصححه الأرنؤوط.
(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

السَّمَاءِ»[(١)] «فَيَأْخُذُهَا- مَلَكُ المَوتِ- فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ- يَعْنِي: بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(٢)].



(١) أخرجه أحمد (١٨٦٣٧)، وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.



السؤال الخامس عشر
كيف تخرج روح الفاجر والكافر، وماذا يحدث عند خروجها؟

قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ الفَاجِرَ، أَوِ الكَافِرَ»[١] «إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ».

قال: «فَتُفَرَّقُ- رُوحُهُ- فِي جَسَدِهِ»[٢] «فَإِنَّهُ لا يُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ رُوحُهُ أَبَدًا، وَاللهُ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ»[٣] «فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ[٤] مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ»[٥] «فَيَنْقَطِعُ مَعَهَا العُرُوقُ وَالعَصَبُ»[٦] «فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٤٧)، وصححه الأرنؤوط.
(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨).
(٤) أي: الشوك أو الحديد، كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٧٩).
(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٣٥)، والحاكم (١٠٧)، وصححه الأرنؤوط.

حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف:٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى»، قال ﷺ: «فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا».

ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج:٣١]، قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»(١).



(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

السؤال السادس عشر

هل الشيطان يحضر الإنسان عند الموت في صورة أبيه أو أمه ويدعوه أن يموت على غير الإسلام؟

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ»[(١)].

وقد أخبرنا رسولُ الله ﷺ أن الشيطان سيسعى في غواية الإنسان إلى أن تخرج روحُه من جسده، وذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[(٢)].

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ، أَتَاهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ المَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ. فَإِنْ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ ثُمَّ بَاتَ، بَاتَتِ المَلَائِكَةُ تَكْلَؤُهُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ: قَالَ المَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ...»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (١١٢٣٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٤).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٢٤)، وصححه ابن حبان (٥٥٣٣)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢٠١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد (١٩٢).

فإذا كان الشيطان في نهاية كل يوم وليلة يأتي الإنسانَ عند النوم، ويراوده أن يختم يومه وليلته بِشَرٍّ، فما بالك عند نهاية حياته الدنيا!

ولا شك أن لحظات الاحتضار هي لحظات فارقة في مصير الإنسان بعد الموت، فقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيم»[1]، فلا شكَّ أيضًا أن الشيطان سيحاول إضلال العبد عند الاحتضار ليُختم له بسوءٍ.

وقد روى الحارثُ بنُ أبي أسامة في (مسنده) عن عطاء بن يسار أن النبي ﷺ قال عن احتضار المؤمن: «وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ عَدُوُّ الله مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةِ»[2].

ولعلَّ ذلك من أسباب ذِكْرِ الموت بعد الأمر بالاستعاذة من همزات الشياطين، وأن يحضرون في قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون:٩٧-٩٩].

وقد كان النبيُّ ﷺ يدعو فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَرَمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالهَدْمِ، وَالْغَمِّ، وَالحَرِيقِ، وَالْغَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ»[3].

أما ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُحْتَضَرُ يَأْتِيهِ شَيْطَانَانِ؛ أَحَدُهُمَا عَلَى صِفَةِ أَبِيهِ، وَالآخَرُ عَلَى صِفَةِ أُمِّهِ، فَيَقُولُ لَهُ الَّذِي هُوَ عَنْ يَمِينِهِ عَلَى صِفَةِ أَبِيهِ: يَا بُنَيَّ، أَنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧).

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة مرسلًا في مسنده (٢٥٦)، وقال الألباني في الضعيفة (٣/ ٦٤٦): مرسل جيد الإسناد.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٥٦٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٢).

قَدْ سَبَقْتُك إِلَى هَذَا المَوْضِعِ، وَقَدْ عَرَفْتُ الحَقَّ فِيهِ، وَالدِّينَ الأَقْوَمَ الَّذِي بِهِ النَّجَاةُ، وَهُوَ دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ، فَمُتْ عَلَيْهِ فَهُوَ الحَقُّ، وَيَقُولُ الَّذِي عَلَى صِفَةِ أُمِّهِ: يَا بُنَيَّ، قَدْ كَانَ بَطْنِي لَكَ وِعَاءً، وَثَدْيِي لَك سِقَاءً، وَحِجْرِي لَك وِطَاءً، وَأَنَا أُحِبُّ لَك مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، وَقَدْ سَبَقْتُكَ إِلَى هَذَا المَوْطِنِ، وَعَرَفْتُ الحَقَّ مِنْ غَيْرِهِ، فَمُتْ عَلَى دِينِ اليَهُودِيَّةِ»، فلم يَثبت أنه من كلام النبيِّ ﷺ[1].

وخلاصة الأمر: أن مجيء الشيطان للإنسان عند الموت على صورة أبيه أو أمه لم يَثبت ذلك عن النبيِّ ﷺ، ولكن ذلك لا يمنع أن الشيطان ربما يأتيه بالفعل ليفتنه قبل موته، وقد ثبت أن الشيطان يحضر الإنسان عند كل شأنه، وأنه يسعى في غوايته ما دامت روحه في جسده، وثبت أن النبيَّ ﷺ كان يستعيذ بالله من أن يتخبَّطه الشيطان عند الموت.

اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة التي تختم بها لأوليائك الصالحين.



(١) ذكره القرطبي بلا إسنادٍ في التذكرة (ص٤٠)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٦٤٦): وأما ما نقله الغزالي في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة من فتنة الموت، وأن إبليس- لعنه الله- وكل أعوانه يأتون الميت على صفة أبويه... إلخ، فقال السيوطي: لم أقف عليه في الحديث.

السؤال السابع عشر

هل ثبت أن المَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ؟

الجواب: لم يأتنا في القرآن أو فيما ثبت من السُّنة ما يدل على ذلك.

وأما الحديث الذي يروى عن النبيِّ ﷺ أنه قال فيه: «إِنَّ المَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ، وَمَنْ يُغَسِّلُهُ، وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ»، فهو حديث ضعيف لا يُحتج به[1].

ولكن الذي ثبت هو قول رسول الله ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ»[2].

فيظهر من الحديث أنه يعلم أنه محمولٌ إلى قبره، وسبب قوله: «قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي»، أو قوله: «يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟»، هو معرفته بمصيره الذي سيذهب إليه من بشارة الملائكة له عند قبض رُوحِهِ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٩٧)، وضعفه الأرنؤوط، وكذلك ضعفه الألباني في الضعيفة (٣١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٠).

السؤال الثامن عشر

هل قول النبيِّ ﷺ: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ وَهُوَ حَيٌّ» معناه أن الميت يُحِسُّ بأيدي مَنْ يُغسله ويتولى أمره؟

الجواب: لا.

لأنَّ المقصود من الحديث هو تعظيم حرمة الإنسان حيًّا وميتًا، وبيان أنَّ إثم تعمُّد كسره حيًّا كإثم تعمُّد كسره ميتًا.

وقد بيَّن ذلك النبيُّ ﷺ بقوله: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[١]. وفي رواية ابن ماجه أنه قال ﷺ: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الحَيِّ فِي الإِثْمِ»[٢].

فليس معناه أن الميت يحسُّ ويتألَّم بتصرفات الأحياء في جسده، ولا يصح أن يقاس ذلك على إحساسه بالنعيم أو العذاب في البرزخ؛ لأن ما يحدث في البرزخ

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٧٨).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦١٧)، والدارقطني (٣٤١٣)، وحسَّنه صاحب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (١/٢٤٣)، وحسنه أيضًا صاحب السراج المنير شرح الجامع الصغير (٢/١١٠).

ليس من جنس ما يحدث في الدنيا، ومثل هذه الغيبيات لا يصح فيها القياس، بل لابد من نصٍّ صحيحٍ صريحٍ في ذلك.

وقد مرَّ معنا أن الحديث الذي يُروى عن النبيِّ ﷺ أنه قال فيه: «**إِنَّ المَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ، وَمَنْ يُغَسِّلُهُ، وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ**»، حديث ضعيف لا يُحتجُّ به[1].



(١) أخرجه أحمد (١٠٩٩٧)، وضعَّفه الأرنؤوط، وكذلك الألباني في الضعيفة (٣١٥٢).

السؤال التاسع عشر

هل تتكلم الجنازة عند تشييع الناس لها قبل الدفن؟

الجواب: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ»[(١)].



(١) أخرجه البخاري (١٣٨٠).

السؤال العشرون
ماذا قال النبيُّ ﷺ عن منظر القبر؟

قال ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».

فعن هانئٍ مولى عثمان قال: «كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على قبرٍ، بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا؟! قال: إن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ). قال: وقال رسول الله ﷺ: (مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ)»[١].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازةٍ، فجلس على شفير القبر، فبكى، حتى بل الثرى، ثم قال ﷺ: (يَا إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا)»[٢].

فسَلْ نفسك يا عبد الله: ماذا أعددت لهذا؟



(١) أخرجه أحمد (٤٥٤)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٩)، وحسنه الألباني.

السؤال الحادي والعشرون

هل للقبر ضمة لا يفلت منها أحد؟

الجواب: نعم.

فقد دُفِن صَبِيٌّ على عهد النبيِّ ﷺ، فقال ﷺ: «**لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ، لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ**»(١).

ولما دُفِنَ الصحابي الأنصاري الجليل سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»(٢).

وفي رواية قال ﷺ: «**لَوِ انْفَلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ، لَانْفَلَتَ مِنْهَا سَعدٌ**»(٣).



(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٢١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٢٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٩٥).

(٣) أخرجه البزار (٥٧٤٧)، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (٣٣٤٥).

السؤال الثاني والعشرون

ما الفرق بين ضمة القبر للمؤمن وغير المؤمن؟

أولًا: بالنسبة للمؤمن:

فالظاهر من الأحاديث النبوية أن ضمة القبر للعبد المؤمن ليست من العذاب في شيءٍ، بل هي كضمَّة الأم الحنون التي عاد إليها ولدُها بعد غيابٍ، وقد جاء معنا في الحديث الصحيح أن رُوح المؤمن حين تصعد بها ملائكة الرحمة إلى السماء يقول الله تعالى لهم: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(١)].

وقد جاء في هذا المعنى حديث أخرجه الترمذي بسندٍ ضعيفٍ يخبر أن رسول الله ﷺ قال: «فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ، وَصِرْتَ إِلَيَّ، فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ». قَالَ: «فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ»[(٢)].

فالظاهر أنها كضمة الأم لولدها بعد غيابٍ. وقيل: بل هي ضمة يشعر منها

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص٢٨٠).

المؤمن بما يشعر عند ألم المرض وغيره، ولعلها من باب الكفارات، فهي ضمة خفيفة، ثم يفرج عنه[(١)].

فلقد أخبرنا نبينا ﷺ أن القبر ضمَّ سعدَ بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول ما دفن، ثم فرج عنه، كما في قوله ﷺ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ يومًا إلى سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين توفي، قال: فلما صلى عليه رسول الله ﷺ، ووضع في قبره، وسوي عليه، سبَّح رسول الله ﷺ، فسبَّحنا طويلًا، ثم كبر فكبرنا، فقيل: يا رسول الله، لم سبَّحتَ؟ ثم كبَّرت؟ قال ﷺ: (لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنْهُ)»[(٣)].

ولقد ثبتت أحاديث عن النبيِّ ﷺ تخبر أن المؤمن يوسَّع عليه في قبره، ويُفسح له فيه، منها قوله ﷺ: «... فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»[(٤)].

وفي (صحيح مسلم): «أَنَّه يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا

---

(١) ينظر في ذلك كلام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠)، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٢٩٠).
(٢) أخرجه النسائي (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٩٥).
(٣) أخرجه أحمد (١٤٨٧٣)، وحسنه الأرنؤوط.
(٤) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»[(١)].

وكان من دعاء النبيِّ ﷺ لأبي سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند موته: «اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[(٢)].

ثانيًا: بالنسبة لغير المؤمن:

أمَّا بالنسبة لغير المؤمن، فضمَّة القبر له جزءٌ من العذاب، فقد ثبت في ذلك أحاديث عن النبيِّ ﷺ، منها قوله ﷺ: «وَإِنَّ الفَاجِرَ أَوِ الكَافِرَ»[(٣)] وفي رواية: «وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا»[(٤)]، وفي رواية: «وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ»[(٥)] «...فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»[(٦)].

وفي رواية: «فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(٧)].



---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٠٤٧)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه أحمد (٨٧٦٩)، وصححه الأرنؤوط.

(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٧) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

السؤال الثالث والعشرون

هل يوجد ما يُسَمى بفتنة القبر؟

الجواب: نعم.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»[(١)].

وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شهدتُ مع رسول الله ﷺ جنازةً، فقال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا)»[(٢)].

وكان ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ»[(٣)].



(١) أخرجه البخاري (٨٦).
(٢) أخرجه أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦٨).

السؤال الرابع والعشرون

ما فتنة القبر، وكيف تكون؟

فتنة القبر هي سؤال الملكين للعبد في قبره، وهي آخر فتنةٍ تعرض على المؤمن.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «وَقَدْ أُرِيتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، يُسْأَلُ أَحَدُكُمْ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ وَمَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟...»(١).

وقال ﷺ: «فَأَمَّا فِتْنَةُ القَبْرِ، فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»(٢).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ)»(٣).

وسؤال الملكين هو آخر فتنةٍ تعرض على المؤمن، فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن العبد المؤمن يقال له في قبره: «مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّـيَ اللهُ، وَدِينِي

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٥).

الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ»(١).



(١) أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠٢).

السؤال الخامس والعشرون

مَنِ المَلَكانِ المُوَكَّلانِ بفتنة القبر، وما صِفَتُهُمَا؟

قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الإِنْسَانُ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ»[(١)] «شَدِيدَا الِانْتِهَارِ»[(٢)].

في يد كل واحدٍ منهما مِطْرقة من حديدٍ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإِنْسَانُ دُفِنَ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ»[(٣)]. وقُلت: من حديدٍ، لما جاء في حديث البخاري من قوله ﷺ: «بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ»[(٤)].

وقد جاء في بعض الروايات الثابتة أنهما منكرٌ ونكيرٌ بدون الألف واللام.

وقوله ﷺ: «أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ»، أي: أزرقان أعينهما[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٩)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٥) تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٤/ ١٥٥).

ومعنى الانتهار: الزَجْرُ، والقول بشدة، والكلام بغلظة مع الصوت المرتفع، المُفزع أحيانًا[١].

وقد جاءت روايات تزيد في وصفهما، ولكنها روايات لا تثبت عن النبيِّ ﷺ، منها ما رواه الطبراني في (الأوسط) بسندٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «شهدنا جنازةً مع نبي الله ﷺ، فلما فرغ من دفنها، وانصرف الناس، قال نبي الله ﷺ: **(إِنَّهُ يَسْمَعُ الآنَ خَفْقَ نِعَالِكُمْ، أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، أَعْيُنُهُمَا مِثْلُ قُدُورِ النُّحَاسِ، وَأَنْيَابُهُمَا مِثْلُ صَيَاصِي البَقَرِ، وَأَصْوَاتُهُمَا مِثْلُ الرَّعْدِ)**»[٢].

فمن هذه الأوصاف النبوية يتبيَّن لنا أنهما بحقٍّ فتنة القبر، وليس الخبر كالمعاينة، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.



(١) انظر تاج العروس، للزبيدي (١١/ ٣٩٩).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٦٢٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٣٨٥).

السؤال السادس والعشرون

هل الروح بعد خروجها بالموت تُعاد إلى الجسد قبل سؤال الملكين؟

الجواب: نعم.

فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الملائكة حين تصعد بروح العبد المؤمن يقول اللهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(١)].

وأما غير المؤمن، فيقول اللهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى»، قال ﷺ: «فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج:٣١]، قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(٢)].



(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

السؤال السابع والعشرون

هل تُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا عند سؤال الملكين؟

الجواب: نعم.

فعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ذكر رسول الله ﷺ فتَّان القبور، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، أتردُّ علينا عقولنا؟ فقال رسول الله ﷺ: (نَعَمْ، كَهَيْئَتِكُمُ اليَوْمَ)، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بفِيهِ الحجر»(١).

وقال البَنَّا في (الفتح الرباني) عن قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بفيه الحجر»: «هذا القول من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كناية عن أنه إذا ردت عليه روحه يستطيع أن يدافع عن إيمانه بالجواب الذي يسكت الفتَّان ويقنعه، وإنما صدر ذلك منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرسوخ الإيمان في نفسه، وثباته في قلبه، ويستعمل العرب هذا اللفظ دائمًا كناية عن الجواب المسكت»(٢).



---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٠٣)، وابن حبان (٣١١٥)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٥).

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٨/ ١٠٧).

السؤال الثامن والعشرون

هل عملُ العبد يدخل معه قبرَه؟

الجواب: نعم.

والدليل: قول النبيِّ ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ**»[(٢)].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن العمل يأتي العبد في قبره على صورة رجلٍ يتكلم معه، ففي حال العبد المؤمن يقول النبيُّ ﷺ: «**وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ**

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣)، وكذلك حسنه الأرنؤوط.

حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ».

ويقول ﷺ عن غير المؤمن في نفس الحديث: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ»[1].



(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط، وكذلك الألباني في صحيح الجامع (٧٤١).

السؤال التاسع والعشرون

ما حال العبد المؤمن مع سؤال الملكين؟

قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الإِنْسَانُ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ»[١] «شَدِيدَا الِانْتِهَارِ»[٢]- كُلُّ مَلَكٍ- «فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ»[٣] «مِنْ حَدِيدٍ»[٤] «فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٩)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ: فَعَلَ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ»[١] «فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ»[٢] «وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ، وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ...فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَيَقُولَانَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ»[٣] «فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ»[٤] «فَيَقُولَانِ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ»[٥] «فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ»[٦]، «فَيَقُولَانِ لَهُ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا»[٧].

قال ﷺ: «وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى المُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]»[٨]، «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٧) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٩١).

(٨) أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، وصححه الأرنؤوط.

الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ»[(١)] «فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ ﷻ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا»[(٢)] «فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا»[(٣)] «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»[(٤)]، «ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ»[(٥)]، قال ﷺ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتَ- واللهِ- سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»[(٦)] «فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٧)] «عَلَى اليَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ»[(٨)]، قال

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٦) أخرجه أحمد (١٨٥٥٧) (١٨٦١٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٧) أخرجه البخاري (١٣٧٩).

(٨) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩)، وصححه الأرنؤوط.

ﷺ: «وَيُعَادُ الجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ»[١] «وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ»[٢] «فَتُجْعَلُ نَسْمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ»[٣] «حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ ﷻ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٤].



(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٧٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٩٥).

السؤال الثلاثون

ما حال غير المؤمن عند سؤال الملكين؟

قال رسول الله ﷺ: «وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ»[(١)]، وفي روايةٍ: «وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا»[(٢)]، وفي روايةٍ: «وَإِنَّ الفَاجِرَ، أَوِ الكَافِرَ»[(٣)] «إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ مَرْعُوبًا خَائِفًا»[(٤)]، «فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي»[(٥)] «فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ

(١) أخرجه أحمد (٧٨٦٩)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٠٤٧)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»[(١)]، «فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هُبِلَ عِنْدَ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]»[(٢)] قال ﷺ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»[(٣)] «فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى»[(٤)] «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا»[(٥)] «ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ»[(٦)] «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟»[(٧)] «فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ الله، سَرِيعًا فِي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (١١٠١٣)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٦٠).

(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٦) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

(٧) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى»(١) «فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»(٢)، قَالَ ﷺ: «فَلا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِك»(٣).



(١) أخرجه أحمد (١٨٦١٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٧).

السؤال الحادي والثلاثون

هل ثَبَتَ أنَّ القبر فيه تِنِّينٌ أو ثعبانٌ ضخمٌ يُسمى: الشجاع الأقرع؟

بالنسبة للتنِّين، فقد روى ابنُ حبان في (صحيحه)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَيُرَحَّبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»، وقال ﷺ: «أَتَدْرُوْنَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤]»، قال: «أَتَدْرُونَ مَا المَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عَذَابُ الكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ؟ سَبْعُونَ حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَلْسَعُونَهُ وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[١].

والتنِّين في لسان العرب: نوعٌ من أعظم وأكبر الحيَّات حَجْمًا[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١٢٢)، وأبو يعلى (٦٦٤٤)، وحسنه الأرنؤوط، وكذلك حسنه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٦٥١).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٤٢).

ولقد أخبر النبيُّ ﷺ بوجود حَيَّات تنهش بعض العصاة في البرزخ، وقد رأى ذلك في رحلته التي طاف فيها مع المَلَكين في عالم البرزخ، فقال ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قِيل: هَؤُلَاءِ اللَّاتِـي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ»[(١)].

أما بالنسبة للشجاع الأقرع، فلم يثبت حديث يخبر بوجود ذلك في القبر، فلا ندري: أموجودٌ أم لا.

ولكن هناك بالفعل ثعبان ضخم عظيم أقرع له زبيبتان، يسمى الشجاع الأقرع، ولكنه موكل ببعض العصاة يوم القيامة، وهذا ما ثبت عن النبيِّ ﷺ.

ومن أمثلة ذلك: ما رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ- يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:١٨٠]»[(٢)].

وقوله ﷺ: «لَهُ زَبِيبَتَانِ»، تثنية زبيبةٍ، وهما الزَّبَدَتان اللتان في الشِّدقين، يقال:

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٣).

تكلَّم فلان حتى زَبَدت شِدْقاه، أي: خرج الزَّبَد منهما. وقيل: هما النُّكتتان السَّوداوان فوق عينيه، وهي علامة الحيَّة الذَّكر المؤذِي. وقيل: نقطتان يكتنفان فاه. وقيل: هما في حلقه بمنزلة زَنَمَتي العَنْزِ. وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين. وقيل: نابان يخرجان من فيه(١).

وخلاصة الأمر: أن التنِّين جاء ذِكْره في عذاب البرزخ للكافرين، وكذلك الحيَّات التي تنهش بعض العصاة، أما الشجاع الأقرع فلم يأت ذِكْرُه في البرزخ، بل في عذاب بعض العُصاة يوم القيامة.



(١) قاله الزرقاني في شرحه على الموطأ (٢/ ١٦٣).

السؤال الثاني والثلاثون

هل نعيم القبر وعذابه على البدن والروح معًا؟

الجواب: نعم.

فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الملائكة حين تصعد بروح العبد المؤمن يقول اللهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(١)].

وأمَّا غير المؤمن، فيقول الله ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى»، قال ﷺ: «فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [سورة الحج:٣١]، قال ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(٢)].

وذكر النبيُّ ﷺ حال المُعذَّب في قبره، فقال: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الأرنؤوط والألباني.

مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»، قال: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»[١].

فعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ذكر رسول الله ﷺ فتَّان القبور، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، أتُرَدُّ علينا عقولنا؟ فقال رسول الله ﷺ: (نَعَمْ، كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ)، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِفِيهِ الحجر»[٢].



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة (١٣١).
(٢) أخرجه أحمد (٦٦٠٣)، وابن حبان (٣١١٥)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٥).

السؤال الثالث والثلاثون

هل أجساد البشر تَبْلَى في قبورها؟

الجواب: نعم، إلا الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

فقد كتب الله على أجساد بني آدم أن تأكلها الأرض فتبلَى، إلا عَظْمَة واحدة في الجسد يقال لها: عَجْبُ الذَّنَبِ، واستثنى الله تعالى الأنبياء، فقد حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادهم.

ودليل ذلك:

قول النبيِّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وفي روايةٍ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

وفي روايةٍ قال ﷺ لأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، قالوا: أي عظمٍ هو يا رسول الله؟ قال: «عَجْبُ الذَّنَبِ»[(١)].

و«عَجْب الذَّنَب»: هو العظمُ اللطيف الذي في أسفل الصُّلب، وهو رأس العُصْعص، ويُقَال له: عَجْم، بالميم[(٢)].

أما الأنبياء- عليهم صلوات الله وسلامه- فقد قال عنهم رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»[(٣)].

وأما الشهداء، فلم يثبت أي حديثٍ يُصرح ببقاء أجسادهم إلى يوم البعث كما صحَّ في الأنبياء، إلَّا ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصة استشهاد والده في غزوة أُحُد، فقد قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فأصبحنا، فكان أول قتيلٍ، ودُفِنَ معه آخر في قبرٍ، ثم لم تَطِبْ نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنيَّةً غير أُذُنِه»[(٤)].

وجاء في لفظ أبي داود أنه قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فأخرجته بعد ستة أشهرٍ، فما أنكرتُ منه شيئًا، إلا شُعَيرات كُنَّ في لحيته مما يلي الأرض»[(٥)].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، والنسائي (١٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥١).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٢٣٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود (٣٢٣٢).

وقد رُويَت لنا بعض القصص عن حالاتٍ فرديةٍ معدودةٍ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأنها خصيصة جعلها الله تعالى لكل الشهداء؛ لعدم وجود ما يثبت ذلك من الكتاب والسنة.

وهناك رواية عند الحاكم في (المستدرك)- إن ثبتت- ربما يُفهم منها أن شهداء أُحُد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم ما خصَّهُم الله تعالى به دون غيرهم من الشهداء.

فقد روى الحاكم بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أُحُد مرَّ على مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]، ثم قال رسول الله ﷺ: (أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ)»[1].

وقد روى ابن أبي الجعد في (مسنده) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «وقف رسول الله ﷺ على قتلى أُحُدٍ، فقال: (اشْهَدُوا لِهَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسَلِّمُ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٩٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٤)، وصححه الحاكم، أما الذهبي فقال في التلخيص: أنا أحسبه موضوعًا، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٢٢١).

عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ»، أو قال: **«إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ»**[(١)].

وخلاصة القول: أن كل ابن آدم بعد الموت يأكله التراب إلا عَجب الذنب، وإن الله ﷻ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أما الشهداء فلم يثبت ما يدلُّ على أن حال أجسادهم بعد الموت كحال أجساد الأنبياء، إلا ما رُوي في حق شهداء أُحُد مع قصة والد جابر بن عبد الله- رضي الله عنهم جميعًا- فلربما يُفْهم من ذلك أن الله تعالى خَصَّ أجسادهم دون غيرهم من الشهداء.



(١) أخرجه ابن أبي الجعد (٢٩٤٥). وقال الصوياني في الصحيح من أحاديث السيرة (١/ ٣٧٩): سنده قوي.

السؤال الرابع والثلاثون

أين تستقر أرواح المؤمنين بعد أن تبْلَى أجسادهم؟

إذا بليت أجساد المؤمنين، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتسرح فيها، وتنعم حيث شاءت حتى تعود إلى أجسادها يوم القيامة.

والدليل:

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩-١٧١].

وقد سُئل النبيُّ ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩]، فقال ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ، تُرِكُوا»(١).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا(٢) عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩-١٧١]»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧).
(٢) «لَا يَنْكُلُوا»، أَيْ: لَا يَجْبُنُوا، كما في عون المعبود (٧/ ١٤٠).
(٣) أخرجه أحمد (٢٣٨٨)، وأبو داود (٢٥٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٥).

وبعد ما استُشْهِدَ جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جَعْفَرًا يَطِيرُ فِي الجَنَّةِ مَعَ المَلَائِكَةِ»[1].

وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلَقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ»[2].

وفي لفظٍ آخر أنه قال ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[3].



(١) أخرجه الترمذي (٣٧٦٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٢٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٤٩)، وصححه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه أحمد (١٥٧٧٦)، وصححه الأرنؤوط، وصححه أيضًا الألباني في الصحيحة (٩٩٥).

السؤال الخامس والثلاثون

هل يتلاقى الأمواتُ ويتزاورون في برزخهم؟

الجواب: نعم.

والدليل: قول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَتَقُولُ: اخْرُجِي إِلَى رَوْحِ الله، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكٍ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشُمُّونَهُ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الأَرْضِ؟ وَلَا يَأْتُونَ سَمَاءً إِلَّا قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَهْلِ الغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: قَدْ مَاتَ، أَمَا أَتَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ، فَيَأْتِيهُ مَلَائِكَةُ العَذَابِ بِمُسْحٍ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي إِلَى غَضِبِ الله، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ، فَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى بَابِ الأَرْضِ»[1].

وعن أُمِّ هانئ الأنصارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٩٧٢)، وابن حبان (٣٠١٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).

رسول الله، أنتزاور إذا متنا؟ ويرى بعضنا بعضًا؟ فقال رسول الله ﷺ: (**تَكُونُ النَّسَمُ** - يعني: الأرواح - **طَيْرًا تَعَلَّقُ بِالشَّجَرِ** - يعني: في الجنة - **حَتَّى إِذَا كَانُوا يَوْمَ القِيَامَةِ، دَخَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي جَسَدِهَا**)»[(١)].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرفوع قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْزِلُ بِهِ المَوْتُ، وَيُعَايِنُ مَا يُعَايِنُ، فَوَدَّ لَوْ خَرَجَتْ** - يعني: نفسه - **وَاللهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُصْعَدُ بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَأْتِيهِ أَرْوَاحُ المُؤْمِنِينَ، فَيَسْتَخْبِرُونَهُ عَنْ مَعَارِفِهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ: تَرَكْتُ فُلانًا فِي الدُّنْيَا، أَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، وَإِذَا قَالَ: إِنَّ فُلانًا قَدْ مَاتَ، قَالُوا: مَا جِيءَ بِهِ إِلَيْنَا**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ، فَإِنَّهُمْ يُبْعَثُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ، وَيَتَزَاوَرُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ**»[(٣)].

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ العَبْدِ، تَلَقَّاهُ أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ اللهِ كَمَا يَلْقَوْنَ البَشِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟ فَإِذَا سَأَلُوا عَنِ الرَّجُلِ قَدْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٤٢٧)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٧٩).

(٢) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨)، وصححه السيوطي في شرح الصدور (ص٣٨).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٤٥)، وفي الصحيحة (١٤٢٥).

مَاتَ قَبْلَهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا لله، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ، وَبِئْسَتِ المُرَبِّيَةُ، قَالَ: فَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، وَقَالُوا: هَذِهِ نِعْمَتُكَ عَلَى عَبْدِكَ فَأَتِمَّهَا، وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا: اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِعَبْدِكِ»[(١)].

ولقد طاف النبيُّ ﷺ في عالم البرزخ مع جبريل وميكائيل، ورأى الجنة والنار والأعاجيب، والحديث أخرجه البخاري وابن حبان، وقد جاء في رواية ابن حبان أنه ﷺ رأى في الجنة بعض أهلها يتزاورون ويلتقون، فقال ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهَرَيْنِ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِيُّ المُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا، فَإِذَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا جَعْفَرٌ، وَزَيْدٌ، وَابْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ شَرَفَ بِي شَرَفًا آخَرَ، فَإِذَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ»[(٢)].

وكان الصحابة والتابعون- رضي الله عنهم جميعًا- إذا احتضر أحدهم، أرسلوا معه السلام لأمواتهم، لما علموه من تلاقي الأموات في برزخهم.

فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا حضرت كعبًا الوفاة، أتته أُمُّ بشر بنت البراء ابن معرورٍ، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، إن لقيت فلانًا، فاقرأ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٨)، وهو موقوف له حكم الرفع.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٤٩١)، وصححه، وصححه أيضًا الألباني في الصحيحة (٣٥٩١).

عليه منِّي السلام. قال: غفر الله لك يا أُمَّ بشر، نحن أشغل من ذلك. قالت: يا أبا عبد الرحمن، أمَا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلُقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ؟)، قال: بلى. قالت: فهو ذاك»[١].

وقال التابعيُّ الجليل محمد بن المنكدر: «دخلت على جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يموت، فقلت: اقرأ على رسول الله ﷺ السلام»[٢].

فالظاهر من هذه النصوص أن الأرواح المُنَعمة في برزخها تتلاقى وتتزاور وتتحاور، ولعل المحبوسة عن الجنة، والمعذبَة تلتقي أثناء عذابها؛ لقول النبيِّ ﷺ: «وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ العَذَابِ بِمِسْحٍ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ الله، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ»[٣].



(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٤٩)، وصححه الأرنؤوط، وصححه شيخنا مصطفى العدوي في تحقيق المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٥٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٦٦٠)، وابن ماجه (١٤٥٠)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ٢٢)، وحسنه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٩٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٠٩).

السؤال السادس والثلاثون

هل الأموات في برزخهم يعرفون شيئًا عن أحوال أهل الدنيا؟

الجواب: نعم.

والدليل: قول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُمْ، حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا»[(١)].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرفوع، قال: «وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُصْعَدُ بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَأْتِيهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَسْتَخْبِرُونَهُ عَنْ مَعَارِفِهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ: تَرَكْتُ فُلانًا فِي الدُّنْيَا، أَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، وَإِذَا قَالَ: إِنَّ فُلانًا قَدْ مَاتَ، قَالُوا: مَا جِيءَ بِهِ إِلَيْنَا»[(٢)].

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ العَبْدِ، تَلَقَّاهُ أَهْلُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٨٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٨).

تنبيه: كان الألبانـي قد ضعفه في الضعيفة (٨٦٣)، ثم رجع عن ذلك، وصححه في الصحيحة (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه البزار (٩٧٦٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٢٨)، وصححه السيوطي في شرح الصدور (ص٣٨).

الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ الله كَمَا يَلْقَوْنَ البَشِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟ فَإِذَا سَأَلُوا عَنِ الرَّجُلِ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ، وَبِئْسَتِ المُرَبِّيَةُ، قَالَ: فَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا، فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، وَقَالُوا: هَذِهِ نِعْمَتُكَ عَلَى عَبْدِكَ فَأَتِمَّهَا، وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا: اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِعَبْدِكَ»[(١)].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ، فَيُسَرُّونَ وَيُسَاءُونَ»[(٢)].

فمن هذه النصوص يتبيَّن لنا أن الأموات في برزخهم يطَّلِعُون على بعض أحوال أهل الدنيا.



(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٨)، وهو موقوف له حكم الرفع.

(٢) أخرجه نُعيم بن حماد في زوائد الزهد، لابن المبارك (٤٢/ ١٦٥)، وقال الألباني في الصحيحة (٦/ ٦٠٧): وهذا إسناد رجاله ثقات.

السؤال السابع والثلاثون

هل مقامات المؤمنين في نعيم البرزخ متفاوتة بتفاوت أعمالهم في الدنيا؟

الجواب: نعم.

فقد قال الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٢].

ولما استُشهد حارثة بنُ سُراقة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبيِّ ﷺ في معركة بدرٍ، جاءت أمه تقول: «يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال ﷺ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)»[1].

فالشهداء- مثلًا- أرواحهم في الجنة تتميَّز عن أرواح عامة المؤمنين في البرزخ، وسنذكر حديثين نستخلص منهما معًا بعض ما فُضِّلوا به:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

الأول: حديثٌ يخبرنا فيه النبيُّ ﷺ أن جبريل وميكائيل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ اصطحباه ﷺ في رحلة إلى عالم البرزخ، رأى فيها أناسًا يُنعَّمون، وأناسًا يُعذَّبون، ودخل الجنة، فأخبر أن مقام الشهداء أحسن وأفضل من مقام عامة المؤمنين، فقال ﷺ: «... وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا، فَصَعِدَا بِي، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ»، فقال ﷺ: «قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ... إلى أن قالا: وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ، فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ. قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ، أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»[1].

فالنبيُّ ﷺ يخبر في هذا الحديث أن مقام الشهداء أحسن وأفضل من مقام عامة المؤمنين، وأن مقام النبوة أعلى من ذلك كله.

والحديث الثاني: أن النبيَّ ﷺ سُئل عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩] فقال ﷺ: «أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[(١)].

ومن هذا الحديث يمكن أن نستخلص أن الله سبحانه فضَّلهم عن عامة المؤمنين بأن مأواهم في الجنة إلى قناديل معلقة بالعرش، فهم جيران عرش الرحمن، وهذا من أسباب اهتزاز العرش فرحًا بموت سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن رُوحَه ستجاوره، فقد أصيب في معركة الخندق، ثم مات شهيدًا، فقال النبيُّ ﷺ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»[(٢)]، وفي روايةٍ: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنْ فَرَحِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

والأمر الثانـي: أنهم من عِظَم النعيم الذي رأوه، تمنَّوا لو عادوا إلى الدنيا ليُقتلوا في سبيل الله مرةً أخرى، وليس ذلك إلا للشهداء، فقد قال النبيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٧).

(٣) جوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (١٢٨٨).

الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ»[1].

والبعض يرى أن مقام الصِّدِّيقين أرفع من مقام الشهداء؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [سورة النساء:٦٩]، وذلك لأنَّهم ذُكِرُوا في الآية بعد النبيين، وقبل الشهداء[2].

وخلاصة الأمر: أنَّ مقامات المؤمنين في برزخهم ودرجاتهم متفاوتة بتفاوت ما كانوا عليه في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح، فأرفع الدرجات للأنبياء، ومقام الشهداء خيرٌ من مقام عامة المؤمنين الصالحين، والبعض يقول: إن مقام الصِّدِّيقين أرفع من مقام الشهداء.



(١) أخرجه البخاري (٢٨١٧).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٢).

السؤال الثامن والثلاثون

هل يمكن أن ينجو المؤمن من فتنة القبر وعذابِه ثم تُمنَع روحُه من دخول الجنة في البرزخ؟

الجواب: نعم، إن كان عليه دَيْنٌ حتى يُقْضى عنه، أو يعفو صاحب الدَّين، وهذا الذي جاء به النص صريحًا، ولا ندري أذلك في بقية المظالم التي بين العباد وبعضهم أو لا.

ودليل ذلك:

ما رواه النسائي عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في جنازةٍ، فقال: (أَهَا هُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ أَحَدٌ؟)، ثَلَاثًا، فقام رجل، فقال له النبي ﷺ: (مَا مَنَعَكَ فِي المَرَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ أَلَّا تَكُونَ أَجَبْتَنِي؟ أَمَا إِنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكَ إِلَّا بِخَيْرٍ، إِنَّ فُلَانًا- لرجلٍ منهم- مَاتَ مَأْسُورًا بِدَيْنِهِ)»[(١)].

وفي لفظٍ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ حُبِسَ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ بِدَيْنٍ كَانَ عَلَيْهِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه النسائي (٤٦٨٥)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠١٥٧)، وصححه الأرنؤوط.

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»[1].

حتى الذي قُتل في سبيل الله شهيدًا، قال عنه النبيُّ ﷺ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»[2].

وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ»[3].



(١) أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وابن ماجه (٢٤١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٨).

السؤال التاسع والثلاثون

أين تستقر أرواح الكافرين بعد أن تبْلَى أجسادُهم؟

إن الكافرين إذا صعدت الملائكة بأرواحهم بعد قبضها لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، فقد قال رسولُ الله ﷺ عن قبض الملائكة لروح الكافر: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف:٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج:٣١]، «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[(١)].

فتُعادُ روحُهُ في جسده ليُفتن في قبره، ويلاقي عذابه فيه، ثم تفارق الروح الجسد؛ لأن الأجساد كتب الله عليها الفناء، وتبقى أرواح الكافرين مُعذَّبةً حتى

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

تقوم الساعة، فتُرَدُّ كل روح إلى جسدها.

فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن فرعون ومن كفر معه: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [سورة غافر:٤٦].

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَإِنَّ نَسَمَةَ الكَافِرِ فِي سِجِّينٍ»[(١)].

وسِجِّين هي مكان عذاب الكافرين في الأرض السفلى، فقد قال النبيُّ ﷺ: «فَيَقُولُ اللهُ عَجَّلَ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى»[(٢)].

وقال ﷺ: «وَأَمَّا الكَافِرُ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِ الأَرْضِ، يَقُولُ خَزَنَةُ الأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ، فَتَبْلُغُ بِهَا إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى»[(٣)].



---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١٥٦٩)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٠٥) وصححه الشيخ مصطفى العدوي في تحقيقه للمنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/ ٤١١).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٩٢٤)، وابن حبان (٣٠١٣)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣٠٠٢).

السؤال الأربعون

الذي مات ولم يُقْبَرْ، ما حاله في البرزخ؟

اعلم- رحمك الله- أن الله خلق الإنسان من بَدَنٍ وروحٍ، وجعل الأحكام في دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها، فالإنسان يؤدي حركات الصلاة بجوارحه، ويجد أثر ذلك في روحه، أما البرزخ فقد جعل الله فيه الأحكام تجري على الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما أخبرنا الوحي الإلهي أن الروح تردُّ إلى جسد الميت عند دخول القبر، وأن نعيم القبر وعذابه يكون على الروح والبدن معًا، فقد أخبرنا الوحي أيضًا أن الأجساد تَبْلى وتصير ترابًا، وتبقى الأرواح في نعيم الجنة، أو في عذابٍ وجحيمٍ.

فما يحدث في القبر للروح والبدن معًا هو مرحلةٌ من مراحل نعيم أو عذاب البرزخ، وكل إنسانٍ يموت ولم يدفن في قبرٍ، سواء الْتَهمته السباع في الصحراء، أو أكلته الأسماك في الماء، أو انفجرت فيه قنبلة أو طائرة فتبعثرت أشلاؤه في الهواء، أو احترق في النار فصار رمادًا، أو غير ذلك من الأسباب التي يصعب من أجلها دفنه في قبـرٍ، فاعلم أن هذا الإنسان سيحدث معه بعد موته ما يحدث للمقبور تمامًا؛ لأنه بالموت قد خرج من

عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٩٩، ١٠٠]، وما يحدث في هذا البرزخ غيبٌ، الإيمان به واجب، ولا يستطيع العقل أن يتصوره أو يتعرف على ما فيه إلا عن طريق ما أخبر به الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قرآنه العظيم، أو على لسان رسوله الكريم ﷺ[١].

ومن أجل ذلك أَوْحَى الله ﷻ إلى رسوله ﷺ قصة رجل ممن كان قبلنا ظن أنه إن أَمَرَ بإِحْراق جسده ليصير رمادًا بعد موته، سيُفْلت مما ينتظره بعد الموت، وإليك قصته:

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا»[٢] «فَأَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ»[٣]، «فَلَمْ يَعْمَلْ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ»[٤]، «فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ»[٥]، «قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي»[٦]، «حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاطْحَنُونِي»[٧]، «ثُمَّ اذْرُوا نِصْفِيَ

(١) ينظر كتاب الروح، لابن القيم (ص٨٠)، (ص٩١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٨٥)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٦٩).

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٩١).

(٧) أخرجه البخاري (٦١١٦).

فِي البَرِّ، وَنِصْفِي فِي البَحْرِ»[(١)]، «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»[(٢)]، «فَوَاللهِ، لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ، لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ، فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ»، قال ﷺ: «فَغَفَرَ اللهُ لَهُ»[(٣)].

وقد قص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى علينا في قرآنه العظيم قصصًا تَجلَّت فيها قدرته في جمع العظام البالية، والأشلاء المتناثرة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩، ٢٦٠].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظمٍ حائلٍ، ففتَّه، فقال: يا محمد، أيبعث الله هذا بعد ما أَرَم؟ قال ﷺ: (نَعَمْ، يَبْعَثُ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥٠٦).

هَذَا، [ثمَّ] يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ)، قال: فنزلت الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس:٧٧-٨٣]»[1].

فاعلم- رحمك الله- أن الإنسان إذا مات سيناله في البرزخ ما يستحقه من النعيم أو العذاب؛ سواء قُبِرَ أو لم يُقْبَر.

ولا تنسَ أن الله كتب على الأجساد الفناء، وتبقى الروح مُنعَّمة أو معذَّبة، كما أخبرنا رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه الحاكم (٣٦٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وخرجه الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص (٢٣٧).

السؤال الحادي والأربعون

هل هناك ذنوب تبقى للمؤمنين ولم تُمْحَ قبل موتهم يتجاوز اللهُ عنها في البرزخ؟

الجواب: نعم.

ولكن اعلم أولًا أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، فقد قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف:٤٩].

وليس معنى أن العبد مؤمن أنه لا يقع في الذنب، فقد قال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١)، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(٢).

ومِثْل هذه الأحاديث لا تفتح باب الجرأة على المعصية، بل تفتح باب الرجاء

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

في رحمة الله التي وسعت كل شيءٍ.

ولا شكَّ أن هذه الذنوب والمعاصي التي دون الشرك تؤثر في إيمان العبد من حيث زيادته ونقصانه، ولا تُخرج فاعلها من الإيمان إلى الكفر، فهو مؤمنٌ بإيمانه، فاسق ظالم بمعصيته، ما لم يستحل مُحَرَّمًا معلومًا تحريمه من الدين بالضرورة، فإنه كُفْر، وهذا ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنة، وكان عليه الصحابة ومَن تبعهم من سلف الأمة- رضي الله عنهم أجمعين-[1].

وفي هذا المعنى قال النبيُّ ﷺ أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «**إِذَا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأسِهِ كَالظُّلَّةِ**- يعني: كالسحابة- **فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ العَمَلِ، رَجعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ**»[2].

فالذنوب والمعاصي من الأعمال التي تدخل مع العبد بَرْزخه كما جاء في قول النبيِّ ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**»[3].

وقد قال الله تعالى عن الذنوب بوجه عام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٨].

وأخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن المؤمن إذا اجتنب كبائر الذنوب ابتغاء مرضات الله،

---

(١) ينظر في ذلك مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠)، والترمذي (٢٦٢٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

سيكفر عنه صغائر ذنوبه، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء:٣١]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف:١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة النجم:٣١، ٣٢].

ومصداق ذلك في عالم البرزخ ما أخبر به النبيُّ ﷺ أنه أتاه جبريل وميكائيل، فطافا به في عالم البرزخ، وسنذكر من هذا الحديث الطويل قوله ﷺ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا... فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ»، قال ﷺ: «قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ»، قال ﷺ: «وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»، قال ﷺ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ»، قال ﷺ: «فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ، قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟، قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ

بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ، فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ... وَأَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا، وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ»[(١)].

وأما كبائر الذنوب التي ربما يقع فيها المؤمن، فأَمْرُها إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، ولكن النبي ﷺ أخبرنا عن العديد من كبائر الذنوب التي تتسبب في عذاب أصحابها في عالم البرزخ، وسيأتي بيان ذلك معنا إن شاء الله تعالى.

اللهم لا تخرجنا من هذه الدنيا إلا وقد غفرت لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أنت أعلم به منَّا، برحمتك يا أرحم الراحمين.



(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، وجملة: «يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» أخرجها البخاري في رواية أخرى (١٣٨٦).

السؤال الثاني والأربعون

هل هناك معاصٍ بعينها أخبر النبيُّ ﷺ أنها تتسبب في عذاب البرزخ لمن ارتكبها من المسلمين؟

الجواب: نعم، ومن أمثلة هذه الذنوب:

- **عدم التنَزُّه من البول والنميمة والغيبة:**

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنَّا نمشي مع رسول الله ﷺ، فمررنا على قبرين، فقام، فقمنا معه، فجعل لونه يتغيَّر حتى رعد كُمُّ قميصه، فقلنا: ما لك يا نبي الله؟، قال: (**مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**)، قلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال ﷺ: (**هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ**)، قلنا: ممَّ ذلك يا نبي الله؟، قال ﷺ: (**كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ**)، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل في كل قبر واحدة، قلنا: وهل ينفعهما ذلك يا رسول الله؟، قال: (**نَعَمْ، يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا دَامَا**

رَطْبَتَيْنِ)»[(١)]، في رواية: «وَأَمَّا الآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الغِيبَةِ»[(٢)].

وهذه الذنوب من الكبائر، ودليل ذلك رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي قال فيها النبيُّ ﷺ: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ»[(٣)].

وقال ﷺ: «إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنَ البَوْلِ، فَتَنَزَّهُوا مِنْهُ»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[(٥)].

- **أن تنهى عن المنكر وتفعلَه، وتأمر بالمعروف ولا تفعلَه:**

قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ»[(٦)].

وفي روايةٍ: «قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ»[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٨٢٤)، وصححه.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٥).
(٤) أخرجه البزار (٢٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٠٢).
(٥) أخرجه أحمد (١٣٣٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٣).
(٦) أخرجه أحمد (١٢٨٥٦)، وصححه الأرنؤوط.
(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (١٧٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩).

• **السَّرقة، وحَبْسُ الحيوان وتعذيبُه:**

فقد صلَّى النبيُّ ﷺ بالناس صلاة الكسوف، ثم التفت إليهم، فقال لهم: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الِمحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ- يعني: أمْعَاءَه- فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ، ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا»[(١)].

وعن أبي رافعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ مرَّ على قبرٍ، فقال: «هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَى بَنِي فُلَانٍ، فَغَلَّ نَمِرَةً، فَدُرِّعَ الآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ»[(٢)].

فلما سرق الرجلُ كساءً، ألبسه اللهُ في البرزخ مثله من نارٍ.

• **الكبر والخيلاء:**

قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[(٣)].

• **ترك الصلاة، ورفض ما أمَر الله به في قرآنه:**

ففي الحديث الذي صاحب فيه جبريل وميكائيل النبيَّ ﷺ إلى عالم البرزخ،

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧١٩٢)، والنسائي (٨٦٢)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

يقول ﷺ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى، قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله، مَا هَذَانِ؟،... قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ، فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ»[1]. في رواية: «وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[2].

- **الكذب، وترويج الإشاعات:**

ففي الحديث السابق يقول ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ، فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ»، قال: وربما قال أبو رجاء: فَيَشُقُّ. قال: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى. قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟... قَالَا لِي: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[١].

• **فاحشة الزنا:**

ففي نفس الحديث السابق يقول ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ»، قال: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ، ضَوْضَوْا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟... قَالَا لِي: وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»[٢].

• **التعامل بالربا:**

ففي نفس الحديث السابق يقول ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ، وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ، رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: آكِلُو الرِّبَا»[٣].

• **الإفطار في نهار رمضان بغير عذرٍ:**

ففي نفس رحلة النبيِّ ﷺ مع الملكين في عالم البرزخ يقول ﷺ: «فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا لِي: اصْعَدْ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الجَبَلِ، فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١٣٨٦-٧٠٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

شَدِيدٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ؟ قَالَ: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ»[(١)].

• **امتناع الأم عن إرضاع طفلها بغير عذرٍ:**

ففي نفس الحديث السابق يقول ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحَيَّاتُ. قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ»[(٢)].

• **الصلاة بغير وضوءٍ بلا عذرٍ، وعدم نُصرة المظلوم مع القدرة:**

قال رسول الله ﷺ: «أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو، حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ»[(٣)].

• **عدم سداد الدَّيْن:**

فعن سَمُرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى رسول الله ﷺ ذات يومٍ، فقال: (هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟). قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فنادى ثلاثًا لا يجيبه أحد، ثم قال: (إِنَّ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٥١).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٤٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٥١).

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٢٣١)، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (٢٧٧٤)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٤٣).

الرَّجُلَ الَّذِي مَاتَ بَيْنَكُمْ قَدِ احْتُبِسَ عَنِ الجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدَّيْنِ الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللهِ)»(١).

واعلم أن تأخير سداد الدَّين عن وقته، ومماطلة صاحبه مع القدرة- حرامٌ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»(٢).

- **وصية الإنسان بالنياحة عليه عند موته:**

فالنياحة على الميت من أمور الجاهلية الْمُحَرمة؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**النِّيَاحَةُ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِالنِّيَاحَةِ عَلَيْهِ**»(٤).

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ بَاكِيهِ، فَيَقُولُ: وَاجَبَلَاهْ، وَاسَيِّدَاهْ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أَهَكَذَا كُنْتَ؟**»(٥).



(١) أخرجه الحاكم (٢٢١٤)، وصححه، وكذلك صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨١٠).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٨١)، وصححه الألباني والأرنؤوط، وأصله في صحيح مسلم (٩٣٤).
(٤) أخرجه البخاري (١٢٩٢).
(٥) أخرجه الترمذي (١٠٠٣)، وحسَّنه، وكذلك حسَّنه الألباني في تحقيق المشكاة (١٧٤٦).

السؤال الثالث والأربعون

هل هناك أصْنَافٌ مِنَ المسلمين أخبر النبيُّ ﷺ بوقايتهم مِنْ فتنة القبر وعذابه؟

الجواب: نعم.

ولكن، اعلم أولًا أن الله تعالى وعد المؤمنين بوجهٍ عامٍّ أن يثبِّتهم عند فتنة القبر، وأن ينجيهم من عذابه، وقد مرَّ بيان ذلك معنا، ولكن هناك من المسلمين أصنافًا بعينهم وعدهم الله تعالى على لسان رسوله ﷺ بالوقاية من فتنة القبر، والنجاة من عذابه، وهم:

أولًا: الشَّهيد الذي قُتِلَ في سبيل الله تعالى:

لقول النَّبيِّ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وصححه، وكذلك صححه الألباني في الصحيحة (٣٢١٣).

وقال رجل للنبي ﷺ: «يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأسِهِ فِتْنَةً)»(١).

ثانيًا: مَن مات مرابطًا في سبيل الله تعالى:

والمرابط: هو حارس حدود بلاد الإسلام في سبيل الله، والملازم للثغور، ومواطن المخافة، وهو من الموعودين بالأمان من فتنة القبر وعذابه(٢).

لقول النبيِّ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، وُقِيَ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَأُومِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيحَ بِرِزْقِهِ مِنَ الجَنَّةِ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ المُرَابِطِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٤).

وقال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ القَبْرِ»(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أُومِنَ عَذَابَ القَبْرِ، وَنَمَا لَهُ أَجْرُهُ إِلَى

---

(١) أخرجه النسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٢) ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٤) أخرجه أحمد (٩٢٤٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٩٥١)، وابن حبان (٤٦٢٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤٦٠٥).

يَوْمِ القِيَامَةِ»[(١)].

ثالثًا: مَن مَات مَبْطُونًا:

وهو الذي تسبَّب مرض بطنه في موته؛ كأمراض الكُلَى، والكبد، وغير ذلك.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ»[(٢)].

رَابعًا: من مات يوم الجمعة أو ليلتها:

فقد قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ»[(٣)].



(١) أخرجه ابن حبان (٤٦٥٢)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣١٠)، والنسائي (٢٠٥٢)، وصححه الأرنؤوط، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٦٥٨٢)، والترمذي (١٠٧٤)، وقال الألباني في أحكام الجنائز (ص٤٩): فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

السؤال الرابع والأربعون

هل هناك أعمالٌ بعينها تُنجي من عذاب القبر؟

الجواب: نعم.

أولًا: الدعاء والاستعاذة بالله من عذاب القبر:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [سورة غافر:٦٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»(١).

وقال لنا النبيُّ ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(٢).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «اسْتَجِيرُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ حَقٌّ»(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات،

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٧).
(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٤٥).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٢).

كما تعلَّم الكتابة: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ)»[(١)]، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة»[(٢)].

ثانيًا: فعل الخيرات، والمعروف عمومًا، والمحافظة على الصلاة والصيام والزكاة وصلة الأرحام والإحسان إلى الناس خصوصًا:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ: فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ»[(٣)].

ثالثًا: قراءة سورة الملك كل ليلةٍ:

قال رسول الله ﷺ: «سُورَةُ (تَبَارَكَ) هِيَ المَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢٢).
(٣) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، والحاكم (١٤٠٣)، وحسنه الأرنؤوط، وكذلك حسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).
(٤) أخرجه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين (٢٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٤٠).

وقال ﷺ: «سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك: ١]»[١].

وفي روايةٍ أنه قال ﷺ: «سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ (تَبَارَكَ)»[٢].

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يسمُّونها المانعة، فعن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَن قرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك:١] كل ليلةٍ، منعَه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة، مَن قرأ بها في كل ليلةٍ، فقد أكثر وأطاب»[٣].

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ، فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ، كَانَ يَقُومُ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ المُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ، أَوْ قَالَ: بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ، كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ المُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى رَأْسُهُ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ، كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ المُلْكِ، قَالَ: فَهِيَ المَانِعَةُ، تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ المُلْكِ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، وحسَّنه الأرنؤوط، وكذلك الألباني في صحيح أبي داود (١٢٦٥).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٤).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٧٩).
(٤) أخرجه الحاكم (٣٨٣٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٧٥).

ولعظيم فضلها كان النبيُّ ﷺ يقرؤها كل ليلة، فعن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ لا ينام كل ليلةٍ حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ - ٢] السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك: ١]»[(١)].

وليس معنى ذلك أنَّ هذه الأعمال فقط هي المنجية من عذاب القبر، بل كل الأعمال الصالحة التي يفعلها المؤمن تكون برحمة الله وفضله نجاة له من العذاب.



(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٨٥).

السؤال الخامس والأربعون
ما حال من مات من أطفال المسلمين في البرزخ؟

الجواب: هم في الجنة بلا خلاف.

فقد رآهم النبيُّ ﷺ بعينه في الجنة حين طاف به جبريل وميكائيل في البرزخ ليرى من أحواله، كما في (صحيح البخاري) أنه ﷺ قال: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ**»[١].

ويظهر لنا من الأحاديث النبوية التي بين أيدينا بعض أحوالهم في البرزخ، منها:

أولًا: أنهم في الجنة في كفالة خليل الرحمن إبراهيم، وزوجه سارة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

لقول النبيِّ ﷺ: «**ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٢].

---

(١) ينظر صحيح البخاري (١٣٨٦)، و(٧٠٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٢٤)، وابن حبان (٧٤٤٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٠٣).

وقوله ﷺ: «ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ»، يعني: أطفالهم[1].

وفي روايةٍ: «أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي جَبَلٍ فِي الجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَّةُ حَتَّى يَدْفَعُوهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

ثَانيًا: أنهم يلعبون ويمرحون في الجنة، ويسرحون فيها حيث شاءوا، ولا يمنعهم من ذلك شيء إلى يوم القيامة.

ففي الحديث الذي دخل فيه النبيُّ ﷺ الجنة في البرزخ، قال: «...ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِي الْمُؤْمِنِينَ»[3].

وقد قال رجلٌ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنه قد مات لي ابنان، فما أنت مُحَدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديثٍ تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم، (صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ- أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ- فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ- أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ- كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى- أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي- حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الجَنَّةَ)»[4].

وقوله ﷺ: «دَعَامِيص»، واحدهم دعموص، وأصل الدعموص: دويبة

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٦/ ١٦٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١٤١٨)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٢٣)، وفي الصحيحة (١٤٦٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٤٩١)، والحاكم (٢٨٣٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٥٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٣٥).

تكون في الماء لا تفارقه، والمعنى: أنهم لا يفارقون الجنة، وأنهم سيَّاحون فيها، دخَّالون في منازلها لا يُمنعون من مَوضعٍ كما أن الصبيان في الدنيا لا يُمْنعون من الدخول على الحرم، ولا يَحتجب منهم أحد[1].

ثالثًا: أنَّ مَنْ مات منهم في سنِّ الرضاعة، جعل الله تعالى له مُرضعًا تكمل رضاعته في الجنة، والله أعلم.

فعن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «تُوفِّي إبراهيم ابن النبي ﷺ، ابن ستة عشر شهرًا، فقال ﷺ: **(ادْفِنُوهُ بِالبَقِيعِ، فَإِنَّ لَهُ مُرْضِعًا يُتِمُّ رَضَاعَهُ فِي الجَنَّةِ)**»[2].

وفي لفظ مسلم أنه ﷺ قال: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الجَنَّةِ**»[3].

وقيل: هي حالة خاصة لإبراهيم ابن النبيِّ ﷺ، والله أعلم[4].

تنبيهٌ مهمٌّ:

ليس معنى أننا نؤمن بأن من مات من أطفال المسلمين فهو الجنة أننا إذا شهدنا جنازة طفلٍ نقول: إن هذا الطفل بعينه في الجنة، فقد عَقَّب النبيُّ ﷺ على

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (٨/ ٤٧٦)، والتنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٦/ ٥٨١)، والنهاية، لابن الأثير (٢/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٦).

(٤) ينظر التوضيح، لابن الملقن (١٩/ ١٥٥)، ومرقاة المفاتيح، للقاري (٩/ ٣٧٢٠).

زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين جزَمَت لطفلٍ مات أنه في الجنة، كما في (صحيح مسلم)، عن عائشة أُمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دُعِيَ رسول الله ﷺ إلى جنازة صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء، ولم يُدْركه. قال ﷺ: **(أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ)**»[١].

وهذا النهي من النبيِّ ﷺ ليس في حق الصغير فحَسْب، بل في حق الصغير والكبير، فإنه لما مات عثمان بنُ مَظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وكان من عُبَّاد الصحابة- قالت أُمُّ العلاء الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبي ﷺ: **(وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟)**، فقلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **(أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ- وَاللهِ- اليَقِينُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللهِ، مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ، مَا يُفْعَلُ بِهِ)**، قالت: فوالله، لا أُزكِّي أحدًا بعده أبدًا، وأحزنني ذلك، قالت: فنمت، فأُرِيتُ لعثمان عينًا تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال ﷺ: **(ذَاكَ عَمَلُهُ)**»[٢].

وعن كعب بن عُجرة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مرض، فأتاه النبي ﷺ يعودُهُ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٧).

فسمع أُمَّه تقول: هنيئًا لك الجنة يا كعب، فقال ﷺ: «مَنْ هَذِهِ الْمُتَأَلِّيَةُ عَلَى اللهِ؟»[(١)].

مع أنه ممن بايع النبيَّ ﷺ في الحديبية تحت الشجرة، فرضي الله تعالى عنهم، وبشرهم النبيُّ ﷺ بالجنة.

فالخلاصة: أنه لا يجوز أن نجزم أن فلانًا بعينه في الجنة أو في النار، إلا من شهد له الله ورسوله بذلك، ولكننا نستطيع أن نجزم بأن المؤمنين في الجنة، وأن الكافرين في النار بوجهٍ عامٍّ[(٢)].

وأما ضمة القبر بالنسبة للطفل، فليست من العذاب، وقد تقدم الحديث عنها في جواب السؤال عن الفرق بين ضمة القبر للمؤمنين وغيرهم، فليراجع.



---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧١٥٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣١٠٣).

(٢) ينظر في ذلك بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/ ١٥٧).

السؤال السادس والأربعون

ما حال من مات من أطفال الكافرين في البرزخ؟

اعلم- رحمك الله- أن مرحلة الطفولة في عمر الإنسان تبدأ من ولادته، وتنتهي بالبلوغ، وأبرز علامات البلوغ الاحتلام، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النور:٥٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الطِّفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ»، أَوْ: «يَعْقِلَ»[(١)].

أما بالنسبة لحال أطفال الكافرين في عالم البرزخ، فاعلم أن هناك روايات ثبتت عن النبيِّ ﷺ أُشْكِلَ فَهمُها على البعض، منها ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين من يموت منهم صغيرًا، فقال ﷺ: (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ)»[(٢)].

فظنَّ البعض أن مُراد هذه الروايات التوقف في أمرهم، وعدم معرفة حالهم،

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٣)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٩).

وظنَّ آخرون أن المراد أنهم يُعذَّبون كآبائهم، ولكن مَنْ جمع كل ما ثبت في هذا الباب، سيجد الصحيح غير ذلك كله، لأمورٍ، نذكر أهمها:

أولًا: أن الطفل حتى يبلغ مرفوع عنه القلم، ولا تكتب عليه خطيئة:

فقد مرَّ معنا قول النبيِّ ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ... الطِّفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ**»، وجاء في لفظٍ آخر عنه ﷺ: «**عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ**»[(١)].

وقد روى أبو يعلى بسنده عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**المَوْلُودُ حَتَّى يَبْلُغَ الحِنْثَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنَةٍ كُتِبَ لِوَالِدِهِ أَوْ لِوَالِدَيْهِ، وَمَا عَمِلَ مِنْ سَيِّئَةٍ، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَلَا عَلَى وَالِدَيْهِ، فَإِذَا بَلَغَ الحِنْثَ جَرَى عَلَيْهِ القَلَمُ**»[(٢)].

ثانيًا: ما من مولودٍ إلا ويخرج من بطن أمه مُسْلِمًا حتى وإن كان من أبوين كافرين:

فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال في الحديث القدسي: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[(٣)].

ولِمَا رواه البخاري في (صحيحه) أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ**

---

(١) أخرجه أحمد (٩٣٩٠)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٦٧٨)، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)، ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [سورة الروم:٣٠]»(١).

وفي (صحيح مسلم) أنه قال ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ المِلَّةِ»(٢).

وفي (صحيح ابن حبان) أنه قال ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ حَتَّى يُعْرِبَ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ»(٣).

وقد بلغ النبيَّ ﷺ أن بعض أطفال الكافرين قُتِلوا على يد بعض المسلمين في إحدى معاركهم مع الكافرين، فقال ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ»، ثم قال: «أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا»(٤).

ثالثًا: أن النبيَّ ﷺ أخبر أنه رأى أطفال الكافرين في برزخهم في الجنة:

ففي الحديث الذي أخبر فيه النبيُّ ﷺ أنه طاف في عالم البرزخ مع جبريل وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أخبر أنه رأى أطفال المشركين مع أطفال المؤمنين في الجنة، فقد جاء في رواية البخاري، عن سَمُرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٦٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٢).

رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلَاءِ؟، قَالَا لِي... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»[١].

رابعًا: أنه ثبت عن النبيِّ ﷺ أنهم لا يُعذبون، وأنهم في الجنة:

فقد سُئل النبيُّ ﷺ: «من في الجنة؟ قال: (النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الجَنَّةِ، وَالمَوْلُودُ فِي الجَنَّةِ، وَالمَوْءُودَةُ فِي الجَنَّةِ)»[٢].

وَ«المَوْءُودَةُ»: هي البنت التي دفنها أبوها حَيَّةً في الجاهلية، فهي في الجنة؛ لأنها مولودة على فطرة الإسلام مع أنها من أبوين كافرين، وفي حقها قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير:٨، ٩].

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي اللَّاهِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ البَشَرِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ، فَأَعْطَانِيهِمْ»، وفي لفظٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّاهِينَ، فَوَهَبَنِيهِمْ وَأَعْطَانِيهِمْ»، فقيل: وما اللَّاهون يا رسول الله؟ قال: «ذَرَارِيُّ البَشَرِ»[٣].

وذراري البشر هم أولادهم الصغار، ولم يُفرق هنا بين أولاد المسلمين وأولاد غيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٥٨٥)، وأبو داود (٢٥٢١)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٧).

(٣) اللفظ الأول أخرجه أبو يعلى (٤١٠١)، والثاني أخرجه الضياء في المختارة (٢٦٣٩)، والحديث حسنه الألباني في الصحيحة (١٨٨١).

خامسًا: أن الأحاديث التي صَرَّحت أنهم في النار ضعيفة، لا يحتجُّ بها:

كالحديث الذي رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال فيه: «وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلادَهُمْ فِي النَّارِ»(١).

والحديث الذي روي عن أُمِّ المؤمنين عائشة أنها ذكرت لرسول الله ﷺ أطفال المشركين، فقال لها: «إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ»(٢).

فكلاهما ضعيف لم يثبت عن النبيِّ ﷺ، فلا يُحتج به.

سادسًا: أن الأحاديث التي تخبر أن أطفال المشركين يُمْتحنون يوم القيامة- إن ثبتت عن النبيِّ ﷺ - فهي خارج البحث؛ لأننا نتكلم هنا عن حالهم في البرزخ.

وخلاصة الأمر: أن الظاهر: أنه من مات من أطفال الكافرين، فقد مات على فطرة الإسلام، وهو مرفوع عنه القلم، وأنه يكون في برزخه في الجنة مع أولاد الناس الذين رآهم النبيُّ ﷺ حول نبي الله إبراهيم ﷺ- هذا والله أعلم- وأما عن كونهم يُمتحنون يوم القيامة أو لا، فهذا بحثٌ لسنا بصدده الآن(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٣١)، وضعَّفه الأرنؤوط، وضعفه كذلك الألباني في الضعيفة (٥٧٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٧٤٣)، وضعفه الأرنؤوط، وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ١٩٥): ضعيف جدًّا. وقال الألباني في الضعيفة (٣٨٩٨): موضوع.

(٣) وللتوسع في هذا الباب ومعرفة اختلاف الأقوال فيه ينظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٧)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٤٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٦٣٥).

السؤال السابع والأربعون
ما حال المُعَاق ذِهنيًّا في عالم البرزخ؟

أولًا: اعلم- رحمك الله- أن المجنون والمعتوه وكل مُعَاقٍ ذِهنيًّا مرفوع عنه القلم؛ لقول النبيِّ ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ»[(١)].

وفي روايةٍ: «وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ»[(٢)].

و«مرفوع عنه القلم»: يعنى أن الملائكة الكاتبين لا تكتب عليه خطيئة؛ لأنه غير مُكلَّف شرعًا[(٣)].

ثانيًا: قد أخبر النبيُّ ﷺ أن الإنسان عند فتنة القبر سيكون على هيئته التي كانت في الدنيا، فالعاقل يُرَدُّ إليه عقلُه، والمجنون والمعتوه ومَن على شاكلتهما سيكونون كما كانوا على هيئتهم في الدنيا قبل الموت.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٤٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٢).
(٢) أخرجه الترمذي (١٤٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤١٦).
(٣) ينظر التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٦٢)، وفيض القدير، للمناوي (٤/ ٢٥).

فعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتُردُّ علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (نَعَمْ، كَهَيْئَتِكُمُ اليَوْمَ)»[(١)].

فالظاهر- والله أعلم- أن المُعاق ذهنيًّا لا يفتن في قبره؛ لأن السؤال في القبر يكون للمكلفين، ويظهر أن حاله في البرزخ كحال الأطفال، فكلاهما مرفوع عنه القلم، هذا والله أعلم.

ثالثًا: قد أخبر النبيُّ ﷺ أنه يُمتحن يوم القيامة.

فقد قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الفَتْرَةِ، فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ، وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالبَعَرِ، وَأَمَّا الهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»[(٢)].

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يُدْلِي عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحُجَّةٍ وَعُذْرٍ: رَجُلٌ مَاتَ فِي الفَتْرَةِ، وَرَجُلٌ أَدْرَكَهُ الإِسْلَامُ هَرَمًا، وَرَجُلٌ أَصَمُّ أَبْكَمُ،

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٠٣)، وابن حبان (٣١١٥)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٠١)، وابن حبان (٧٣٥٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٣٤).

وَرَجُلٌ مَعْتُوهٌ، فَيَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِمْ مَلَكًا رَسُولًا فَيَقُولُ: اتَّبِعُوهُ، فَيَأْتِيهِمُ الرَّسُولُ، فَيُؤَجِّجُ لَهُمْ نَارًا، ثُمَّ يَقُولُ: اقْتَحِمُوهَا، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا، كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَا، حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ»(١).

وخلاصة الأمر: أن المُعاق ذهنيًّا غير مُكلف شرعًا، ومرفوع عنه القلم، ويظهر -والله أعلم- أن حاله في البرزخ كحال الأطفال، وقد ثبت أنه يُمتحن يوم القيامة(٢).



(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٠٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٤٠٤).

(٢) وللتوسع في المسألة ينظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٥٧)، ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٤٠١).

السؤال الثامن والأربعون

هل الميتُ يَشعر بالمُشيعين لجنازته ويَسمَعُهم ويَستأنس بهم أثناء وبعد الفراغ من دفنه؟

الجواب: نعم.

فقد أخبر رسولُ الله ﷺ أن الجنازة تُكلِّم من يحملها، وذلك في قوله ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ»[1].

وأخبر رسول الله ﷺ أن الميت يشعر بالتفاف المُشيعين حول قبره، ويسمع أصوات أقدامهم، وذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[2].

وقد قال عمرو بنُ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبنيه لما حضره الموت: «فإذا أنا متُّ، فلا

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني، فشنوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بِكُمْ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»(١).

تنبيه مهم:

اعلم- رحمك الله- أن شعور الميت بالمشيعين لجنازته، واستئناسه بهم حول قبره، وسماعه صوت نعالهم، كل هذا لا يتعارض مع الأصل الذي صرَّح به القرآن الكريم بأن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء، كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [سورة النمل:٨٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢]؛ لأنَّ عدم سماعهم في العموم يصح تخصيصه بهذه الأحاديث الصحيحة.

فالظاهر أن الشعور والاستئناس، وهذا السماع والإحساس مقيدٌ بهذه الأحوال عند التشييع، وأثناء الدفن، وبعد الفراغ منه، ولا يكون على العموم في كل الأوقات، والله أعلم.

فإنَّ كون الموتى يشعرون بالأحياء، ويستأنسون بهم، ويسمعون كلامهم في كل وقتٍ أو لا- أمرٌ غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف فيه مع نصوص الكتاب والسُّنة إثباتًا

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١).

ونفيًا، وسيأتي مزيد بيانٍ لذلك معنا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[(١)].

والمؤمن الحق على يقينٍ بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر على أن يُسمع غير القادر على السماع متى شاء، وأين شاء، وكيفما شاء، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر:٢٢]، وأمثلة ذلك في القرآن والسُّنة كثيرة.



(١) للتوسع في ذلك ينظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٣٦٤)، والتذكرة، للقرطبي (ص١٥٢)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات، للألوسي بتحقيق الألباني (ص٢١).

السؤال التاسع والأربعون

بعض الناس يقوم عند القبر بعد الفراغ من الدفن ليُلَقِّنَ الميتَ الشهادتين بحجة أنه يَسمعهم ويَستأنس بهم عند سؤال الملكين، فهل ينتفع الميتُ بذلك؟ وهل هذا من السُّنة؟

الجواب: لا.

وذلك لأنَّ الميت لا يُثبِّته عند سؤال الملكين أو يُضلُّه إلا الله، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]»[1].

ويكون هذا التثبيت من رحمة الله تعالى بالعبد جزاء إيمانه وعمله الصالح في الدنيا.

وأما فعل بعض الناس اليوم من الوقوف عند القبر لتلقين الميت، فهو مخالفٌ لهدي النبيِّ ﷺ؛ لأن السُّنة بعد الفراغ من الدفن: الدعاء للميت بالمغفرة، والتثبيت عند السؤال، فقد جاء في الحديث عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٩).

«كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ)»[١].

فلو كان التلقين ينفع الميتَ لَفعله النبيُّ ﷺ، فهو أحرص الناس على أمته، وأرحم الناس بهم، فقد قال ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

وأمَّا حديث التلقين الذي يحتج به هؤلاء، فهو حديث ضعفه جمهور أهل العلم بالحديث، فلا يصح الاحتجاج به، وقد قال الصنعانيُّ عنه في كتابه (سُبُل السلام): «ويتحصَّل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله، بل ونقل عن بعضهم أنه قال: إن حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وَضْعه»[٢].

وهذا الحديث رواه الطبرانيُّ عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، فَسَوَّيْتُمُ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ اللهُ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ. فَلْيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٥).

(٢) انظر سبل السلام، للصنعاني (١/ ٥٠٢).

وَبِالقُرْآنِ إِمَامًا، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فَيَكُونُ اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا»، فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أُمه؟ قال: «فَيَنْسُبُهُ إِلَى حَوَّاءَ، يَا فُلَانُ بْنَ حَوَّاءَ»[١].

أما الحديث الذي رواه مسلم في (صحيحه)، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٢]، فليس معناه أن ذلك التلقين يكون بعد الموت، بل ظهر مُراد النبيِّ ﷺ فيما رواه ابن حبان في (صحيحه)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمَتِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ المَوْتِ، دَخَلَ الجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»[٣].

وجاء في المسند عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ لُقِّنَ عِنْدَ المَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[٤].

وخلاصة الأمر: أنَّ التلقين الذي ثبت في السُّنة، وينتفع به الإنسان، يكون حالَ الاحتضار، وليس بعد الموت.



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٩)، وضعفه النووي كما في أحكام الجنائز (ص١٩٨)، وابن القيم في زاد المعاد (١/ ٢٠٦)، والصنعاني في سبل السلام (١/ ٥٠٢)، والألباني في الضعيفة (٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٠٠٤)، وحسنه الألباني في الإرواء (٣/ ١٥٠).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٨٩٤)، وصححه الأرنؤوط.

السؤال الخمسون

هل الموتى في برزخهم يشعرون بزيارة الأحياء لقبورهم ويَسمعون كلامهم؟

الجواب: الأصل أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء إلا في أحوالٍ بعينها، وإليك بيان ذلك وتفصيله.

أولًا: تمهيد:

اعلم- رحمك الله تعالى- أن البرزخ وحال الناس فيه جزءٌ من الغيب الذي لا نستطيع التعرف عليه إلا عن طريق نَصٍّ صريحٍ من القرآن الكريم، أو مما ثبت في السُّنة الشريفة.

وقد مَرَّ معنا في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[1].

ولكن ليس معنى أنه ثبت أن الميت يسمع الأحياء في هذا التوقيت أنه يسمعهم في كل الأوقات؛ لعدم ثبوت ذلك، ولأن كَوْنَ الموتى يشعرون بالأحياء،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

ويستأنسون بهم، ويسمعون كلامهم في كل وقتٍ أو لا- أمرٌ غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، ولا يعتمد في إثبات ذلك على الرُّؤى والمنامات، وإنما يوقف فيه مع نصوص الكتاب والسُّنة إثباتًا ونفيًا[(١)].

فليس معنى أنه ثبت أن الميت في قبره يسمع الأحياء في أحوالٍ، أو أوقاتٍ معينةٍ أن يقاس على ذلك أنه يسمع في كل الأحوال والأوقات.

وقال العلامة القرطبيُّ في (التذكرة) تحت باب (ما جاء أن الميت يسمع ما يقال):

«اعلم- رحمك الله- أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أنكرت هذا المعنى، واستدلَّت بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢]، ولا تعارض بينهما؛ لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقتٍ ما، أو في حالٍ ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وُجد الْمُخصص، وقد وُجد هنا بدليل ما ذكرناه، وبقوله ﷺ: (إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ)»[(٢)].

وما أجمل كلام **شيخ الإسلام ابن تيمية** حين قال: «فهذه النصوص وأمثالها تُبيِّن أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حالٍ دون حالٍ»[(٣)].

---

(١) انظر تحقيق الألباني للآيات البينات في عدم سماع الأموات، لنعمان الألوسي (ص٢١).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص١٥٢).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٤/ ٣٦٤).

ثانيًا: الأدلة على أن الأصل عدم سماع الموتى للأحياء:

الدليل الأول:

قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠].

فلقد جاء هذا التصريح القرآنيُّ في موضعين من القرآن الحكيم:

الأول: في سورة (النمل) بعدما ساق القرآن الحديث عن رفض الكفار لدعوة النبيِّ محمد ﷺ، فقال له ربُّه جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة النمل:٧٩-٨١].

والثاني: في سورة (الروم)، وذلك بعدما عرضت السورة كفرهم بآيات الله البينات التي تبرهن للعقل السليم وللفطرة السوية على أن الله هو الحق، قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة الروم:٥٢، ٥٣].

وقد روى ابن جرير الطبري بسندٍ صحيحٍ عن التابعي المفسر قتادة أنه قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر؛ فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر»[(١)].

والخلاصة: أن الآيتين القرآنيتين من سورتي (النمل) و(الروم) تُصرِّحان بأن

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٤)، وصححه الألباني في تحقيق الآيات البينات (ص٢٣).

الأصل أن الموتى في قبورهم أو برزخهم لا يسمعون الأحياء وهم في دنياهم.

الدليل الثاني:

قول الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [سورة فاطر:١٤].

روى البخاري في (صحيحه)، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ فَكَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ، لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا، أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا- يعني: أوثانًا وأصنامًا- وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ، عُبِدَتْ»(١).

فهذه الأصنام أُنشِئَت على قبور هؤلاء الرجال الصالحين، وكان المشركون يذهبون إليهم، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم ويدعونهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر:٣]، فأنكر اللهُ تعالَى عليهم ذلك في مواضع عديدة من قرآنه العظيم، منها ما قاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم في سورة فاطر: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر:١٣، ١٤].

أي: أن هؤلاء الأموات وغيرهم من أصحاب الأصنام الذين تدعونهم وتنادونهم لا يسمعونكم أصلًا، ولو سمعوكم ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يتبرؤون منكم ومِن شرككم.

وهذه الآية أيضًا صريحة في أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء لهم.

الدليل الثالث:

قولُ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢].

فإنه لما كذَّب المشركون النبيَّ ﷺ، وكفروا به، قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى له: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سورة فاطر:١٨-٢٦].

أي: أن المؤمن والكافر لا يستويان عند الله، كما لا يستوي الأعمى والبصير،

ولا الظلمات والنور، ولا الظلُّ البارد والجو الحار، وإن هذا الكافر الذي لا يسمع لدعوتك، ولا يؤمن بها، شأنه شأن الميت الذي لا يسمع من يكلمه وهو في قبره، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[(١)].

فهذه الآية صريحة في أن الموتى في القبور لا يسمعون كلام الأحياء.

الدليل الرابع:

قولُ النبيِّ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[(٢)].

وهذا صريح في أن النبيَّ ﷺ وهو في قبره لا يستطيع سماع من يُسلِّم عليه من الأحياء؛ إذ لو كان يسمع بنفسه، لَمَا كان بحاجةٍ إلى ملائكةٍ تبلغه سلام الأحياء له.

ولما كان المستقِر في فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن جسد الميت في قبره يَبلى ويصير ترابًا، وتفارقه الروح، وذلك لقول النبيِّ ﷺ لهم: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ»[(٣)]، ولقوله ﷺ: «...وَيُعَادُ الجَسَدُ كَمَا بُدِئَ، وَيُجْعَلُ نَسَمَةً مِنَ النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَائِرٌ تَعَلَّقُ فِي شَجَرَةِ الجَنَّةِ»[(٤)]، اسْتُشْكِلَ عليهم قولُ النبيِّ ﷺ لهم: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ،

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٤٥٩)، وأيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري (٤/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٦٦)، وابن حبان (٩١٤)، وصححه الألباني في تحقيقه للآيات البينات (ص٣٦)، وفي الصحيحة (٢٨٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٤) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أَرَمتَ- أي يقولون: قد بليت- قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**»[1].

فلما أخبرهم النبيُّ ﷺ بالخصيصة التي جعلها الله تعالى للأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- زالَ الإشكال لديهم.

وهذا يجعلك تتعجَّب من الذي يذهب إلى قبر إنسانٍ مات من عشرات السنين ليكلمه، ويشكو له همومه، بل وتتعجب أكثر ممن يستغيث به من دون الله العظيم.

وتزداد عجبًا حينما ترى أن النبيَّ ﷺ يخبرنا أنه لا يَسمع سلام الناس عليه وهو في برزخه إلا بواسطة مَلَكٍ يبلغه السلام، وهو الذي لن تأكل الأرض جسده، وهو حيٌّ في قبره، فهو القائل ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»[2]، ثم تجد بعد ذلك من يستدل بسماع الموتى لكلام الأحياء مُطلقًا بما جاء في الحديث عن بُريدة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا- إِنْ شَاءَ اللهُ- لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**»[3].

فلو كان هؤلاء الموتى في برزخهم يسمعون سلامَ الأحياء- وهم الذين تأكل

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٢٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٥)، والبزار (٢٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٥).

الأرض أجسادهم، وتفارقها أرواحُهم، وبعد زمنٍ لا يبقى في القبور من آثارهم إلا عجب الذنب- لكان النبيُّ ﷺ أَوْلَى بسماع السلام عليه بدون مَلَكٍ يبلغه السلام، وهو الذي لا تأكل الأرض جسده، وهو حيٌّ في قبره.

غير ذلك أنَّ حديث السلام عند دخول المقابر ليس فيه أي تصريحٍ بسماع الموتى للسلام، ولا يصح في الغيبيات التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي- كسماع الموتى مطلقًا للأحياء- أن يُستدلَّ بمثل هذا أمام الآيات القرآنية الصريحة التي تنفي سماعهم.

ورحم اللهُ **الألبانـيَّ** حين قال: «ويكفي في ردِّ ذلك أن يقال: إنه استدلالٌ مبنيٌّ على الاستنباط والنظر، فمثله قد يمكن الاعتداد به إذا لم يكن مخالفًا للنَّصِّ والأثر، فكيف وهو مخالف لنصوصٍ عدةٍ واحد منها فقط فيه كفاية وغنية»[(١)].

وأقول: وليس في قول النبيِّ ﷺ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ**» ما يدل على سماع الموتى لهذا السلام، فقد قال لنا النبيُّ ﷺ: «**فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا، أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[(٢)].

وفي رواية: «**فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي**

---

(١) الآيات البينات في عدم سماع الأموات، للألوسي، تحقيق الألباني (ص٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣١).

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[١].

وفي رواية: «أَصَابَتْ كُلَّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، أَوْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ»[٢].

فهل معنى ذلك أنِّي لو قلتُ في التشهد: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ» يسمعني عندئذٍ كلُّ مَلَكٍ مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد صالح؟! بالتأكيد لا؛ لأنِّي لو قمتُ الآن فصليتُ في حجرتي وقلتُ ذلك، لن تسمعني أيها القارئ الكريم.

وكذلك حين أقول في التشهد: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ»، فإن النبيَّ ﷺ لا يبلغه السلام إلا عن طريق مَلَكٍ كما أخبرنا ﷺ.

فهل جاءنا ما يخبر بأن هؤلاء الموتى حين أقول عند دخول المقابر: (السلام عليكم أهل الديار) أنه يوجد ملائكة تبلغهم السلام؟!

فاعلم- رحمك الله- أن السلام عند دخول المقابر إما أن يكون أمرًا تعبديًّا نَستنُّ فيه بقول نبينا ﷺ وفعله، أو أن يكون السلام بمعنى الدعاء لهم أن يُسلمهم اللهُ، وينجيهم من كل سوءٍ في برزخهم.

فقد قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)، قيل: معناه: التعويذ بالله، والتحصين به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإن السلام اسم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تقديره: الله عليكم حفيظ وكفيل، كما يقال: الله معك، أي: بالحفظ والمعونة واللطف. وقيل: معناه السلامة

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٠١٧)، وأصله عند البخاري (١٢٠٢).

والنجاة لكم»[١].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات عديدة السلامُ فيها بمعنى السلامة من السوء، كما في قول الله تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [سورة مريم:٣٣].

فقد سلَّمَه اللهُ تعالى من الشيطان عند ولادته بما أخبر به النبيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ»[٢].

ويقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيرها: «يقول عيسى ﷺ: والأَمَنَة من الله عليَّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حيًّا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمُعَاينتهم أهوال ذلك اليوم»[٣].

وقد جاء في السُّنة أيضًا: السلامُ بمعنى السلامة، كما في إخبار النبيِّ ﷺ عن دعاء الرُّسل يوم القيامة: «وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٦).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٣٣).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

قال الحافظ ابنُ حجر: «يدعون للمؤمنين بالسلامة»[1].

فائدة:

قال الشيخ الألبانـيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحقيقه لكتاب (الآيات البينات في عدم سماع الأموات) صفحة (٣٨) عن الذين يقولون بسماع الموتى مُطلقًا: «وأغرب ما رأيت لهم من الأدلة: قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الروح) تحت المسألة الأولى: هل تعرف الأموات زيارة الأحياء، وسلامهم أم لا؟، فأجاب بكلام طويل جاء فيه ما نصه:

(ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرًا، ولولا أنهم يشعرون به، لَمَا صح تسميته زائرًا، فإن المَزُور إن لم يعلم بزيارة من زاره، لم يصح أن يقال: زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلِّم محالٌ، وقد علَّم النبيُّ ﷺ أُمَّته إذا زاروا القبور أن يقولوا: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ»، وهذا السلام والخطاب والنداء لِمَوجودٍ يسمعُ ويُخاطَب ويَعقل ويَرد وإن لم يسمع المسلم الرد)[2]- قال الألبانـيُّ: أقول وبالله تعالى التوفيق:

رحم اللهُ ابنَ القيم، فما كان أغناه من الدخول في مثل هذا الاستدلال العقلي الذي لا مجال له في أمرٍ غيبيٍّ كهذا، فوالله لو أن ناقلًا نقل هذا الكلام عنه، ولم أقف أنا بنفسي عليه، لَمَا صدقته لغرابته وبُعْده عن الأصول العلمية، والقواعد

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٥٢).

(٢) انتهى كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

السلفية التي تعلمناها منه، ومن شيخه الإمام ابن تيمية، فهو أشبه شيءٍ بكلام الآرائيين والقياسيين الذين يقيسون الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق، وهو قياس باطل فاسد طالما ردَّ ابنُ القيم أمثاله على أهل الكلام والبدع، ولهذا وغيره فإنِّـي في شكٍّ كبيرٍ من صحة نسبة (الروح) إليه، أو لعله ألَّفه في أول طلبه للعلم، والله أعلم.

ثم إنَّ كلامه مردود في شطريه بأمرين:

الأول: ما ثبت في الصحيح أن النبيَّ ﷺ كان يزور البيت في الحج، وأنه كان وهو في المدينة يزور قباء راكبًا وماشيًا، ومن المعلوم تسمية طواف الإفاضة بطواف الزيارة، فهل من أحدٍ يقول بأن البيت وقباء يشعر كل منهما بزيارة الزائر، أو أنه يعلم بزيارته؟

وأما الآخر: فهو مخاطبة الصحابة للنبيِّ ﷺ في تشهد الصلاة بقولهم: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ**...»، وهم خلفه قريبًا منه، وبعيدًا عنه في مسجده، وفي غير مسجده، أفيقال: إنه كان يسمعهم، ويشعر بهم حين يخاطبونه به، وإلا فالسلام عليه محالٌ؟ اللهم غفرًا.

وإذا كان لا يسمع هذا الخطاب في قيد حياته، أفيسمعه بعد وفاته وهو في الرفيق الأعلى، لا سيما وقد ثبت أنه يبلغه ولا يسمعه، كما سبق بيانه في الدليل الرابع؟

ويكفي في ردِّ ذلك أن يقال: إنه استدلال مبني على الاستنباط والنظر، فمثله قد يمكن الاعتداد به إذا لم يكن مخالفًا للنص والأثر، فكيف وهو مخالف لنصوص

عدة واحد منها فقط فيه كفاية وغنية»[١].

وأما الحديث الذي يُروى عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال فيه: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ»[٢]، فهو حديث ضعيف لم يثبت عن النبيِّ ﷺ بشهادة علماء الحديث قديمًا وحديثًا، وقد وَهِمَ مَنْ ظنه ثابتًا، فلا يصحُّ الاحتجاج به.

وأما القول المنسوب لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَرَفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٣]، فهو ضعيف، ولا تثبت نسبته لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يصح الاحتجاج به أيضًا.

---

(١) الآيات البينات في عدم سماع الأموات، للألوسي، تحقيق الألباني (ص٣٨، ٣٩).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٤٧)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ١٣٧)، وتمام الدمشقي في الفوائد (١٣٩)، وضعفه ابن رجب الحنبلي في كتابه أهوال القبور (ص٨٣)، بل قال: منكر، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٢٣)، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ قريب، وقال: هذا إسناد ضعيف جدًّا، كما في الصارم المُنكي، لابن عبد الهادي (١/ ٢٢٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٢٠٨)، وقال عنه في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٤٤٩٣): إسناد ضعيف جدًّا، ثم رَدَّ الألباني قولَ عبد الحق الإشبيلي الذي توهم صحة الحديث، فصححه في كتابه الأحكام بعدما فَنَّد طرق الحديث، فقال: ومن هذا التحقيق يتبين أن قول عبد الحق الإشبيلي في أحكامه (٨٠/ ١): «إسناده صحيح» غير صحيح، وإنْ تبعه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٤١٩)، وأقره المناوي! وأما الحافظ ابن رجب الحنبلي فقد ردَّه بقوله في أهوال القبور(٢/ ٨٣): يشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك؛ إلا أنه غريب، بل منكر.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٨٨٥٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٩/ ٤٧٤).

وأما الحديث الذي رواه الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أُحُدٍ، مرَّ على مصعب بن عميرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله ﷺ، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]، ثم قال رسول الله ﷺ: (أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ)»(١).

فهو حديث مختلف في ثبوته، وإن ثبت فهي خصيصة خصَّ الله تعالى بها شهداء أُحُدٍ لفضلهم.

والخلاصة في نقطتين، والله أعلم:

الأولى: قد أخبر النبيُّ ﷺ أنه في برزخه لا يستطيع سماع سلام الأحياء عليه إلا بواسطة مَلَكٍ يبلغه السلام، مع أنَّه لا تأكل الأرض جسده، وهو حيٌّ في قبره.

الثانية: أن السلام على الموتى عند دخول المقابر إما أن يكون أمرًا تعبديًّا تستنُّ فيه الأمة بقول النبيِّ ﷺ وفعله، أو هو بمعنى الدعاء للموتى أن يُسلِّمهم الله وينجيهم، وليس في ذلك أي دليلٍ على سماع الموتى لسلام الأحياء عليهم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٩٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٤) وصححه الحاكم، أما الذهبي فقال في التلخيص: أنا أحسبه موضوعًا، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٢٢١).

الدليل الخامس:

وهو ما استقرَّ في فَهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء.

وقد ظهر ذلك في حديث القليب المعروف، فإنه بعدما نصر اللهُ تعالى المسلمين على المشركين في معركة بدرٍ الكبرى، أُلْقيت جثثُ الكفرة في قليب- يعني: بئر قديمة- في مكان المعركة، وبعد ثلاثة أيامٍ من المعركة، وقف النبيُّ ﷺ على القليب يكلم مَنْ فيه مِنَ القتلى، فتعجَّب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من ذلك لِمَا استقر في فهمهم من أن الموتى لا يسمعون الأحياء، واسْتُشْكِلَ عليهم فِعلُ نبيِّهم ﷺ، وسألوه عن ذلك.

فقد روى البخاري بسنده عن قتادة أنه قال: «ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن نبي الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طوي من أطواء بدرٍ خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قومٍ، أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث أمر براحلته، فشدَّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (**يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟**)، فقال عمر: يا رسول الله، ما تُكلِّم من أجسادٍ لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**).

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا، وتصغيرًا، ونقيمةً، وحسرةً، وندمًا»[١].

وفي رواية أحمد: «قالوا: يا رسول الله، تنادي أقوامًا قد جيفوا؟ قال: (مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا)»[٢].

وفي بعض الروايات أنهم استدلوا بعموم قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، لِمَا استقر في أفهامهم أن الأصل عدم سماع الموتى لكلام الأحياء.

كما في رواية أحمد عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول الله، أتُناديهم بعد ثلاثٍ، وهل يسمعون؟ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، فقال ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا)»[٣].

وقد احتجَّت أمُّ المؤمنين عائشة أيضًا بنفس الآية على عدم سماع الموتى لكلام الأحياء، كما في (صحيح البخاري)، عن عروة بن الزبير، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «وقف النبي ﷺ على قليب بدرٍ، فقال: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟)، ثم قال: (إِنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ)، قال عروة: فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: (إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الحَقُّ)، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٧٧٣)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٠٦٤)، وصححه الأرنؤوط.

ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢]»[(١)].

وقد قال بعض أهل العلم: إن سماعهم لكلام النبيِّ ﷺ في هذا الحال وهذا التوقيت هو خصيصة من الخصائص النبوية، وذلك لأمورٍ؛ منها:

أولًا: أنه فهم بعض تلامذة الصحابة من التابعين- ومنهم: قتادة بن دِعَامة الذي قال كما في رواية البخاري: «**أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا، وَتَصْغِيرًا، وَنَقِيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا**»[(٢)].

وقد سبق تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة الروم:٥٢]، فقال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر؛ فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر»[(٣)]، فهو أحد المُصَرِّحين أيضًا أن الموتى في الأصل لا يسمعون كلام الأحياء.

بل وقد وضع بعض أهل العلم هذا الحديث في باب الآيات والمعجزات النبوية؛ لأن سماع الموتى لكلامه ﷺ بعدما جُيِّفوا خرقٌ للعادة، وهو من دلائل النبوة، ومن هؤلاء: الخطيب التبريزي الذي أورده في باب المعجزات من كتابه (مشكاة المصابيح)، وذكره البيهقي في كتابه (دلائل النبوة)، وغيرهما من أهل العلم[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٦).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٤)، وصححه الألباني في تحقيقه للآيات البينات (ص٢٣).

(٤) ينظر مشكاة المصابيح (٣/ ٥٩٣٨)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٣/ ٩٣)، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٤٣).

ثانيًا: أن النبيَّ ﷺ لم يُنكر على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما فهموه من قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠] أن الأصل عدم سماع الموتى وهم في برزخهم للأحياء، ولم يُبين لهم أن فهمهم هذا خطأ، فلو كان ذلك لوجب عليه ﷺ أن يبين لهم؛ لأنه حاشاه ﷺ أن يؤخِّر البيان عن وقت الحاجة.

ثالثًا: أن كلمة «الآن» في قول النبيِّ ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**إِنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ**» يظهر منها أنه أمرٌ خاصٌّ بهذا التوقيت، فهي واقعة عينٍ لا عمومَ لها.

وخلاصة الجواب: أن الموتى في الأصل لا يسمعون كلام الأحياء؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة فاطر:٢٢].

فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في حديث قَرْعِ النِّعال، أو أن بعضهم سمع في وقتٍ ما كما في حديث القليب، فلا ينبغي أن يُجعل ذلك أصلًا، فإنها قضايا جزئية لا تشكل قاعدةً كليةً يُعارَض بها الأصل المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه.

فالأصل أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء بلا شكٍّ، ولكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع، أو من لا يستطيعه، كان ذلك، فهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر:٢٢].

فإذا علمت- أيها القارئ الكريم- أن الموتى في الأصل لا يسمعون كلام الأحياء، فلم يبق هناك مجال لمناداتهم، والاستغاثة بهم من دون الله تعالى، كما نراه

يُفعل الآن عند قبور بعض الصالحين وغيرهم، فإنَّ فِعْلَ ذلك سخافةٌ في العقل، وضلالٌ في الدين.

وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف:٥، ٦].

والقائل في قوله الحكيم: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [سورة الإسراء:٥٦، ٥٧][1].



(١) وللتوسع في المسألة ومعرفة الأقوال فيها انظر الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٣/ ٦٢)، والروح، لابن القيم (ص٩)، والتذكرة، للقرطبي (ص١٥٢)، وأهوال القبور، لابن رجب الحنبلي (٢/ ٨٣)، وروح المعاني، لمحمود الألوسي (٦/ ٤٥٤)، وتحقيق الألباني للآيات البينات في عدم سماع الأموات، لنعمان الألوسي (ص٤٠).

السؤال الحادي والخمسون

هل وَضْعُ جَريد النخل على القبر يُخفف العذاب عن الميت في قبره؟

الجواب: لم يأتنا في القرآن أو فيما ثبت من السُّنة ما يصرح بذلك.

وأما ما جاء في (الصحيحين) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: (أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ)، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فدعا بعسيبٍ رطبٍ، فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدًا، وعلى هذا واحدًا، ثم قال ﷺ: (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)»[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ»[2].

فالذي يظهر من قوله ﷺ «فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا» أن تخفيف العذاب

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠١٢).

عنهما بسبب شفاعة النبيِّ ﷺ، ودعائه لهما، لا بسبب الجريد نفسه.

ولو كانت نداوة الجريد أو النباتات أو الزهور سببًا لتخفيف العذاب عن أهل القبور، لكان أخف الناس عذابًا في قبورهم الكفار الذين يُدفنون في مقابر أشبه ما تكون بالجنان، وهذا لا يستقيم شرعًا، ولا عقلًا.

وخلاصة الأمر: أنه لا يوجد دليلٌ في الشرع يخبر بأن وَضْع الجريد على القبور يخفف العذاب على مَنْ فيها، وإن ما فعله النبيُّ ﷺ كان أمرًا من خصائصه ﷺ، حيث كان التخفيف بسبب شفاعته، ولذلك لم يُنقل عن الصحابة والتابعين- رضي الله عنهم أجمعين- أنهم كانوا يضعون الجريد على القبور[1].



(١) ينظر في ذلك التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٤/ ٣٩٤)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٣٢٩)، وأحكام الجنائز، للألباني (ص٢٥٦).

السؤال الثاني والخمسون

هل ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ مَنْ دخل المقابر، فقرأ سورة (يس)، خفف العذاب عن الأموات يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات؟

الجواب: لا.

فإن النبيَّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما كانوا يزيدون عند زيارتهم للمقابر على الدعاء للأموات.

وأمَّا الحديث الذي جاء فيه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ دَخَلَ المَقَابِرَ، فَقَرَأَ سُورَةَ (يس) خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ فِيهَا حَسَنَاتٌ»[1]، هو حديث موضوع مكذوب، لم يَقُلْه النبيُّ ﷺ.



(١) أخرجه الثعلبي في التفسير (٣/ ١٦١/ ٢)، وقال الألباني في الضعيفة (١٢٤٦): موضوع.

السؤال الثالث والخمسون

هل للأنبياء حياة خاصة في برزخهم عن بقية البشر؟

الجواب: نعم.

فقد خصَّهم الله تعالى بخصائص ليست لغيرهم من البشر، ومن هذه الخصائص جزء له علاقة بالموت، وحياتهم في البرزخ، وقد أخبرنا النبيُّ ﷺ بشيءٍ من ذلك.

أولًا: يُخَيَّر كل نبيٍّ قبل موته بين الموت والحياة:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ»[1].

وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)، قالت: وكان في شكواه الذي قُبِض فيه، أخذته بُحَّةٌ شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٧).

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النساء:٦٩] فعلمت أنه خُيِّر»[١].

ثانيًا: لا تُقبَضُ رُوحُ نبيٍّ إلا في المكان الذي يحب أن يموت ويُدْفَنَ فيه:

قال رسولُ الله ﷺ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»[٢].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن اللهَ تعالى أرسل مَلَكَ الموت لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأمره أن يقول له: «فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ، لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[٣].

ثالثًا: يُدفَنُ الأنبياء في مكان موتهم:

فعن أبـي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ»[٤].

وفي رواية أحمد أنه قال ﷺ: «لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨)، وصححه الأرنؤوط.

(٥) أخرجه أحمد (٢٧)، وقال الأرنؤوط: حديث قوي بطرقه.

وقد مَرَّ معنا قوله ﷺ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»(١).

رابعًا: لا يفتنون في قبورهم:

وذلك لأن العبد يُسْأل في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وقد قال النبيُّ ﷺ: «فَأَمَّا فِتْنَةُ القَبْرِ، فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»(٢).

خامسًا: الأَنبياءُ أَحْياءٌ فِي بَرْزخِهِم يُصَلُّونَ:

قال رسولُ الله ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ»(٣).

وقال ﷺ: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(٤).

سادسًا: إنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَهم:

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٥)، والبزار (٢٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٢١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

(٥) أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، والنسائي (١٣٧٤)، وأبو داود (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢).

فائدة جليلة:

روى ابنُ حبان في (صحيحه) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «أتى النبي ﷺ أعرابيًّا فأكرمه، فقال له: (ائْتِنَا)، فأتاه، فقال له رسول الله ﷺ: (سَلْ حَاجَتَكَ)، فقال: ناقةً نركبها، وأعنزًا يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: (عَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟)، فقالوا: وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: (إِنَّ مُوسَى لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَلَّا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا. قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالُوا: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا، فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ. قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. قَالَ: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ- مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ- فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا المَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ. قَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاحْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الأَرْضِ، إِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ)»[(١)].

قال الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت استشكلت قديمًا قوله في هذا الحديث: (عظام يوسف)؛ لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح: (إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ)، حتى وقفت على حديث ابن عمر: أنَّ النبيَّ ﷺ لما

(١) أخرجه ابن حبان (٧٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٣).

بدَنَ، قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبرًا يا رسول الله، يجمع- أو: يحمل- عظامك؟ قال: (بَلَى)، فاتخذ له منبرًا مرقاتين. أخرجه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم، فعلمت منه أنهم كانوا يطلقون (العظام) ويريدون البدن كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة الإسراء:٧٨]، أي: صلاة الفجر، فزال الإشكال، والحمد لله، فكتبتُ هذا لبيانه»[(١)].

قلتُ: والأمثلة في باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، والعكس، كثيرة في القرآن والسُّنة، ومتوافرة في لسان العرب.



(١) السلسلة الصحيحة (٣١٣).

السؤال الرابع والخمسون

هل للنبيّ مُحَمَّدٍ ﷺ خصيصة في البرزخ ليست لغيره من الأنبياء؟

الجواب: نعم.

فقد ثَبت عنه ﷺ أن له في البرزخ خصيصتين لم يأتنا في القرآن أو السُّنة أن مثلهما لغيره من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه:

أولًا: أن مَنْ صلَّى على النبيِّ ﷺ من أُمَّته، عُرِضَتْ عليه صلاته وعرفه، خاصةً يوم الجمعة وليلتها، ليشفع له عند الله يوم القيامة.

فعن أوس بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ - أي: يقولون: قد بَلِيت؟ - قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ

قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[(١)].

فصلاة أُمَّته تُعرض عليه ﷺ ليعرف من أَوْلَى الناس به وبشفاعته يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ: أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»[(٢)].

وقال ﷺ: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً، كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»[(٣)].

وفي رواية: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ»[(٤)].

ثانيًا: أنَّ الله تعالى وَكَّلَ له من الملائكة مَنْ يُبلغه السلام من أفراد أمته، وأنه ﷺ يردُّ عليهم بنفسه السلام.

فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٩١١)، والألباني في التعليقات الحسان (٩٠٨).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦٠٦٢)، وأورده الألباني في الضعيفة (٢٨٩٢)، ثم تراجع عن تضعيفه، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٧٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٥٩٩٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (٣٦٦٦)، وصححه ابن حبان (٩١٤)، وكذلك الألباني في تحقيقه للآيات البينات (ص٣٦)، وفي الصحيحة (٢٨٥٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيهِ السَّلَامَ»[(١)].

فاللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على نبينا وحبيبنا محمد، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ما دامت السموات والأرض.



(١) أخرجه أحمد (١٠٨٥١)، وأبو داود (٢٠٤١)، وحسنه الأرنؤوط، وكذلك حسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٦).

السؤال الخامس والخمسون

هل الأنبياء يلتقون ويتزاورون ويتحدثون في برزخهم؟

الجواب: نعم.

إذا كان عامة المؤمنين قد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنهم يلتقون ويتزاورون في البرزخ، وقد جعل الله ذلك لهم شيئًا من النعيم، فلا شك أن الأنبياء الذين هم صفوة خَلق الله تعالى يلتقون ويتزاورون، ومع ذلك فقد أخبرنا نبيُّنا ﷺ عن بعض هذه اللقاءات بين الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وسأذكر بعضها الآن إن شاء الله.

أولًا: لقاء آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام:

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى»، وفي رواية مسلم: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى:

بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»، يعني: غلبه بحُجَّته[1].

ثانيًا: لقاء عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام:

فقد روى البخاري عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قال ﷺ: فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قال ﷺ: فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»[2].

ثالثًا: لقاء إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام:

فقد روى أحمد عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الدَّجَّالَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٦)، ومسلم (٢٦٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٠).

خارجٌ. قَالَ: وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ. قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللهُ، حَتَّى إِنَّ الحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ. قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَئُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللهُ وَيُمِيتُهُمْ حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ. قَالَ: فَيُنْزِلُ اللهُ ﷻ المَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي البَحْرِ»[1].



(١) أخرجه أحمد (٣٥٥٦)، وأبو يعلى (٥٢٩٤)، والحاكم (٨٥٠٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

السؤال السادس والخمسون

هل توجد أعمالٌ صالحة لا يتوقف ثوابُها بموت صاحبها، وتجعل صحيفةَ حسناته لا تُغلق بموته، ويَلحقه ثوابُها وهو في برزخه؟

الجواب: نعم.

وهي أعمال عديدة ومتنوعة بفضل الله ورحمته، ليفعل المؤمن منها ما يناسبه ويستطيعه، وسأذكر لك ما ثبت عن النبيِّ ﷺ في ذلك إن شاء الله.

أولًا: إصلاح الأبناء:

فالمؤمن الفقيه هو الذي يُحسن النية في إنجاب الذرية، ويسعى في إصلاح أبنائه في أَمْرِ دينهم قبل دنياهم، فكل عملٍ صالحٍ يصدر من هذا الابن يكتب في صحيفة حسنات أبويه في حياتهما، وبعد موتهما كما يكتب له، غير أن الابن الصالح لن ينسى أبويه أبدًا بعد موتهما بكل عملٍ ينفعهما.

واعلم أنك أول من سيقطف ثمرة إصلاحك لولدك؛ لأن الولد الصالح سيجعل منهج حياته في علاقته بأبويه قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ

إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٢٣، ٢٤].

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

وقال ﷺ: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلَ بَعْدَهُ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ»(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ...»(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(٤).

وقال ﷺ: «أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٢) أخرجه ابن حبان (٩٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٢٢٤).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).
(٤) أخرجه أحمد (١٠٦١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٩٨).
(٥) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٧)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٧).

ثانيًا: الصدقة الجارية:

وهي ما يُخرجه الإنسان من مالِه لوجه الله تعالى في عملٍ يجري نفعُهُ، ويدوم أجرُه وثوابُه[(١)].

وهي أحد تفسيرات قول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف:٤٦]، وفي سورة مريم: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [سورة مريم:٧٦].

فقد قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي ذِكْر الله، قول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض»[(٢)].

ومن أمثلتها: بناء المساجد والمدارس، وسقي الماء كحفر الآبار والأنهار وغيرهما، وطباعة ونشر المصاحف والكتب العلمية النافعة، وكفالة الأيتام، وغير ذلك من الأعمال التي يجري نفعها، ويدوم أجرها وثوابها.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[(٣)].

---

(١) انظر مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (٢/ ١١١)، والتعريفات، للجرجاني (١٣٨)، والمفردات، للراغب (٢٧٨).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٠)، وحسنه صاحب الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٣/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٣١).

وقال ﷺ: «خَيْرُ مَا يَخْلُفُ الرَّجُلَ بَعْدَهُ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ»(١).

وقال ﷺ: «أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ: مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا، فَهُوَ يَدْعُو لَهُ»(٢).

وفي رواية: «وَرَجُلٌ أَجْرَى صَدَقَةً، فَأَجْرُهَا يَجْرِي عَلَيْهِ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ»(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»(٤).

وقال ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»(٥).

ولَمَّا مات الصحابيُّ الجليل عثمان بن مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رأت أُمُّ العلاء الأنصارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا له رؤيا تُبشر بقبول حسناته الجارية، فقالت: «ورأيت لعثمان في النوم عينًا

---

(١) أخرجه ابن حبان (٩٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٢٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٧)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣١٨)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٥) أخرجه البزار (٧٢٨٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٢).

تجري، فجئت رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: (ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ)»[١].

ومن فضل هذه الصدقات الجارية أن ثوابها يُطفِئُ حَرَّ القبور على أهلها؛ لقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ»[٢].

ثالثًا: الدعوة إلى الله، وتعليم العلم النافع:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «فَوَالله، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[٣].

و«**حُمْر النَّعَم**»: هي الإبل الحُمْر القوية، وهي أَنْفَس أموال العرب أيامها[٤].

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٥].

وقال ﷺ: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلَ بَعْدَهُ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ»[٦].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠١٨).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٣٤٨٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٤) انظر عون المعبود (٨/ ١٥٩).
(٥) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٦) أخرجه ابن حبان (٩٣)، وصححه، وكذلك صححه الألباني في أحكام الجنائز (٢٢٤).
(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).

وفي روايةٍ: «وَرَجُلٌ عَلَّمَ عِلْمًا، فَأَجْرُهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا عَمِلَ بِهِ»[(١)].

وفي روايةٍ: «مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ العَامِلِ»[(٢)].

وقال ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ الله ﷻ، كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ»[(٣)].

وقَالَ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[(٤)].

وفي روايةٍ: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي، فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[(٥)].

وقَالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[(٦)].

وقَالَ ﷺ: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[(٧)].

رابعًا: مَن مات مرابطًا في سبيل الله:

قال رسولُ الله ﷺ: «أَرْبَعٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ: رَجُلٌ مَاتَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣١٨)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٦).

(٣) أخرجه أبو سهل القطان في حديثه عن شيوخه (٤/ ٢٤٣/ ٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٣٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩)، وحسنه الترمذي، وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٧) أخرجه أحمد (٢٣٠٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٦٠).

مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ...»[(١)].

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أُومِنَ عَذَابَ القَبْرِ، وَنَمَا لَهُ أَجْرُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[(٢)].

فائدة:

وهكذا تجد رحمة الله وفضله في تنوُّع الأعمال الصالحة التي يبقى ثوابها جاريًا قبل الموت وبعده، لتنوُّع أحوال العباد، فمَن كان فقيرًا يستطيع أن يُحسن تربية ولده، أو أن يتعلَّم العلم ويعلمه، ومن حُرم الذرية، يستطيع بناء مسجدٍ، أو حفر بئر، أو طبع مصحف أو نشره، أو المساهمة في ذلك كله، وهكذا يتفضَّل الله على عباده.

واعلم أن هذه الأعمال كما أنها تجلب للمؤمن الحسنات وهو في قبره، فإنها أيضًا تُكفِّر وتمحو عنه السيئات؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود:١١٤]، إلا أن تكون مظلمة للعباد، فلا بد من التحلُّل منها.

اللهم يَسِّرْ لنا أعمالًا يجري ثوابها حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.



(١) أخرجه أحمد (٢٢٣١٨)، وصححه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٧).

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٦٢٥)، وصححه، وكذلك صححه الألباني في الإرواء (١٢٠٠).

السؤال السابع والخمسون

هل هناك شروط يجب توافرها في العمل حتى يترتب عليه الثواب في الآخرة؟

الجواب: نعم.

اعلم- رحمك الله- أن العمل لا يترتب عليه ثواب في الآخرة إلا إذا قَبِلَه اللهُ من العبد، والعمل لا يُقْبل إلا إذا كان صالحًا، فإذا كان صالحًا، أثاب اللهُ صاحبَه في الدنيا والآخرة، ولا يكون العمل صالحًا حتى يتوافر فيه شروط ثلاثة، وهي:

١- أن يكون فاعلُه مُسْلمًا.

٢- أن يكون العمل لوجه الله خالصًا.

٣- أن يكون لَمِا شَرَعَ اللهُ موافقًا.

فَإنْ فَقدَ العملُ أحد هذه الشروط الثلاثة، لم يكن العمل صالحًا، ولم يَقْبله الله.

وإليك بعض أدلة الشرط الأول (الإسلام):

قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة:١١٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإسراء:١٩]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٧].

فمَنْ أشرك وكفر، لا يَقبل اللهُ عمله؛ لقوله تعالى في سورة (الزمر): ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥]، وقوله تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [سورة إبراهيم:١٨]، وقوله تعالى من سورة (الكهف): ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف:١٠٥].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قلت: يا رسول الله، إن عبد الله بن جُدعان كان في الجاهلية يَقري الضيف، ويفكُّ العانـي، ويصل الرحم، ويُحْسن الجوار، فأثنيت عليه، فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: (لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي

يَوْمَ الدِّينِ)، يعني: لأنه لم يكن يؤمن باليوم الآخر[١].

وعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن العاص بن وائل أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة، فأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أبـي أوصى بعتق مائة رقبةٍ، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون رقبة، أفأعتق عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: (**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ، بَلَغَهُ ذَلِكَ**)»[٢].

وفي روايةٍ: «فقال ﷺ: (**أَمَّا أَبُوكَ، فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ**)»[٣].

ومع أن الكافر لا ثواب له عند الله في الآخرة، إلا أنَّ الله من تمام عدله يجازيه في الدنيا على أعمال الخير، والأدلة على ذلك كثيرةٌ، منها:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود:١٥، ١٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٨٣)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).
(٣) أخرجه أحمد (٦٧٠٤)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).

وقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»[١]، وفي روايةٍ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»[٢].

بعض أدلة الشرط الثاني (الإخلاص):

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة:٥].

وقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٣].

وقول النبيِّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ للهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا أُخْلِصَ لَهُ»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (١).
(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٨٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٦٤).

وفي روايةٍ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

بعض أدلة الشرط الثالث (موافقة الشرع):

قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»(٢)، وفي روايةٍ: «فَهُوَ مَرْدُودٌ»(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٤).



(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠)، وأورده الألباني في الصحيحة (٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه أحمد (٢٤٤٥٠).
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٣).

السؤال الثامن والخمسون

هل هناك سيئات تظل جارية ولا تتوقف بموت صاحبها؟

الجواب: نعم.

فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾

[سورة العنكبوت:١٢، ١٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة النحل:٢٥].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[1].

وقال ﷺ: «وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً، فَعُمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٦).

يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا»(١).

وقال ﷺ: «وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٢).

وقال ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»(٣).

فكلُّ من دعا الناس إلى معصيةٍ فعليه وِزرها، وَوِزْرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، والدال على الشر كفاعله، إلا مَنْ تاب لله توبةً نصوحًا، وحاول ما استطاع إيقاف هذه المعاصي، ونهى الناس عنها، فيقول الله تعالى له: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان:٧٠].



(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).
(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧).

السؤال التاسع والخمسون

هل يستطيع الأحياء أن يعملوا أعمالًا تنفع الأموات في برزخهم؟

الجواب: نعم، إن كان الميت مُسلمًا.

وقد قال البعض: إن أي عملٍ صالحٍ يَهِبُ الأحياء ثوابه للأموات، يصل إليهم نفعه، والبعض حصر الأعمال التي ينتفع بها الميت من فِعْلِ الأحياء فيما جاء صريحًا في السُّنة النبوية، وهذا أسْلَمُ في مثل هذه الغيبيَّات، والله أعلم، لذلك سنقتصر هنا على ما جاء صريحًا في السُّنة[١].

أولًا: الثناء على الميت، والكَفُّ عن مساوئه:

فعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مرَّ بجِنَازةٍ، فأُثْني عليها خيرًا، فقال نبي الله ﷺ: (وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ)، قال: ومرَّ بجنازةٍ، فأثني عليها شرًّا، فقال نبي الله ﷺ: (وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ). قال عمر: فِدًى لك أبي وأمي، مرَّ بجنازةٍ، فأثني عليها خير، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومرَّ بجنازة، فأثني عليها شر،

(١) ومن أراد التوسع في هذه المسألة، فليرجع إلى كتاب الإحسان إلى الأموات، وما يصل إليهم من ثواب القربات للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم.

فقلت: وجبت، وجبت، وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ)[1].

وفي روايةٍ: أنهم سألوا النبيَّ ﷺ عن قوله: «وَجَبَتْ»، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي المَرْءِ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ»[2].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ»، فقلنا: وثلاثة؟ قال: «وَثَلَاثَةٌ»، فقلنا: واثنان؟ قال: «وَاثْنَانِ»، قال: ثم لم نسأله عن الواحد[3].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ، إِلَّا قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[4].

وعن أبـي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دُعِيَ لجنازةٍ، سأل عنها، فإن أُثْني عليها خير، قام فصلى عليها، وإن أثني عليها غير ذلك قال لأهلها: (شَأْنُكُمْ بِهَا)، ولم يُصلِّ عليها»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم (١٣٩٧)، وصححه، وصححه كذلك الألباني في الصحيحة (١٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٨).

(٤) أخرجه أحمد (١٣٥٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٢).

(٥) أخرجه أحمد (٢٢٥٥٥)، وابن حبان (٣٠٥٧)، وصححه، وصححه كذلك الألباني في أحكام الجنائز (١٠٩).

وقال النبي ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قالوا: بِمَ ذاك يا رسول الله؟ قال: «بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا، وُضِعَ فِي الأَرْضِ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا، وُضِعَ فِي الأَرْضِ سَيِّئًا»(٢).

وعن يزيد بن شجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، وَخَرَجَ النَّاسُ، فَقَالَ النَّاسُ خَيْرًا، وَأَثْنَوْا خَيْرًا، فَجَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرُوا، وَلَكِنَّكُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَقَدْ قَبِلَ اللهُ قَوْلَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرَ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(٣).

وقال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»(٤).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «ذكر عند النبي ﷺ هالكٌ بسوءٍ، فقال ﷺ: (لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ)»(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١)، وحسنه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٧٢٩).

(٢) أخرجه البزار (٣٦٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٧٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٢١)، وأورده الألباني في الصحيحة (١٣١٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٥) أخرجه النسائي (١٩٥٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٨٢٧).

وقال ﷺ: «اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ»[(١)].

فائدة جليلة:

قال الألبانـيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن مجموع هذه الأحاديث يدلُّ على أن هذه الشهادة لَا تختصُّ بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل هي أيضًا لمن بعدهم من المؤمنين الذين هم على طريقتهم في الإيمان والعلم والصدق، وبهذا جزم الحافظ ابن حجر في (الفتح).

وقال: وأمَّا قول بعض الناس عقب صلاة الجنازة: ما تشهدون فيه؟ اشهدوا له بالخير، فيجيبونه بقولهم: صالح، أو من أهل الخير، ونحو ذلك، فليس هو المراد بالحديث قطعًا، بل هو بدعة قبيحة»[(٢)].

ثانيًا: جَمعُ المؤمنين للصلاة على جنازته:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[(٣)].

وعن كُريب مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «هلك ابنٌ لعبد الله بن عباس، فقال لي: يا كُريب، قُم فانظر، هل اجتمع لابني أحدٌ؟ فقلت: نعم، فقال: وَيْحك! كم تراهم؟ أربعين؟ قلت: لا، بل هم أكثر، قال: فاخرجوا بابني، فأشهدُ لَسمعتُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٠٢٠)، وصححه الحاكم في المستدرك (١٤٢١)، وصححه الأرنؤوط لغيره في تحقيقه لأبي داود (٤٩٠٠).

(٢) أحكام الجنائز، للألباني (ص٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٩٤٨).

رسول الله ﷺ يقول: (مَا مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ مُؤْمِنٍ يَشْفَعُونَ لِمُؤْمِنٍ، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ)»[(١)].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»[(٢)].

وفي روايةٍ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، غُفِرَ لَهُ»[(٣)].

وعن مرثد بن عبد الله اليزني قال: «كان مالك بن هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صلى على جنازةٍ، فتقال الناس عليها، جزَّأهم ثلاثة أجزاءٍ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ، فَقَدْ أَوْجَبَ)»[(٤)].

ثالثًا: الدعاء والاستغفار له:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»[(٥)].

وقال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٨٩)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٤٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٢٨)، وأبو داود (٣١٦٦)، وحسنه الترمذي، وابن حجر في الفتح (٣/ ١٤٥)، والنووي في المجموع (٥/ ٢١٢)، وفي خلاصة الأحكام (٣٤٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٣٣).

(٦) أخرجه مسلم (١٦٣١).

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(١).

وقال ﷺ: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ المَرْءُ بَعْدَهُ ثَلَاثًا: وَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ فَيَبْلُغُهُ دُعَاؤُهُ...»(٢).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ)»(٣).

وقَالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»(٤).

وإليك بعض الأدعية المأثورة عن النبيِّ ﷺ للأموات:

عن عوف بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازةٍ، فحفظت من دعائه وهو يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ)، قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٦١٠)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٩٣)، وابن خزيمة (٢٤٩٥)، وصححه ابن حبان وابن خزيمة، وصححه كذلك الألباني في أحكام الجنائز (٢٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وحسنه الألباني في الإرواء (٧٣٢).

(٥) أخرجه مسلم (٩٦٣).

وعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا صلى على جنازةٍ يقول: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَاغْفِرْ لَهُ، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»[1].

وفي رواية: «وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلَّى رسول الله ﷺ على جنازةٍ، فقال: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ)»[3].

وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ على رجلٍ من المسلمين، فسمعته يقول: (اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ- قال عبد الرحمن: مِنْ ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ- وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)»[4].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣٠٧٣)، وصححه، وصححه كذلك الألباني في التعليقات الحسان (٣٠٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٤٩) من حديث يزيد بن ركانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (١٣٢٨)، والنووي في خلاصة الأحكام (٣٥٠١)، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الحاكم (١٣٢٩)، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وصححه النووي في خلاصة الأحكام (٣٥٠٠)، وصححه كذلك الألباني في أحكام الجنائز (١٥٨).

ولَمَّا مات أبو سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَأَفْسِحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»[1].

رابعًا: الصدقة عن الميت:

فعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تُوفِّيت أُمُّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أُمِّي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال ﷺ: (**نَعَمْ**)، قال: فإنِّي أُشْهدك أن حائطي المِخْرافَ صدقة عليها»[2].

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «إن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتُلِتَت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجرٌ إن تصدقتُ عنها؟ قال ﷺ: (**نَعَمْ**)»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالًا، ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدَّق عنه؟ قال ﷺ: (**نَعَمْ**)»[4].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ القُبُورِ**»[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن العاص بن وائل أوصى

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٣٠).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٣٤٨٤).

أن يعتق عنه مائة رقبة، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة، فأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أبي أوصى بعتق مائة رقبة، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون رقبة، أفأعتق عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: **(إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا، فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ، بَلَغَهُ ذَلِكَ)**»[1].

وفي روايةٍ: فقال ﷺ: «**أَمَّا أَبُوكَ، فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ**»[2].

خامسًا: قضاء الدَّيْن عن الميت:

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»[3].

عن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «توفِّي رجل فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطا خُطًى، ثم قال: **(أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟)**. قلنا: ديناران، فانصرف، فتحمَّلها أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: **(حَقُّ الغَرِيمُ، وَبَرِئَ مِنْهُمَا المَيِّتُ؟)**، قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال ﷺ بعد ذلك بيومٍ: **(مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟)**، فقال: إنَّما مات

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٨٣)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٦٧٠٤)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٩٦٧٧)، والترمذي (١٠٧٨)، وصححه النووي في خلاصة الأحكام (٣٣٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٧٩).

أمس. قال جابر: فعاد إليه من الغد، فقال: لقد قضيتُهُما، فقال رسول الله ﷺ: «(الآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ)»[1].

عن سَمُرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «صلَّى رسول الله ﷺ ذات يومٍ، فقال: **(هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟)**، فنادى ثلاثًا لا يجيبه أحد، ثم قال ﷺ: **(إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي مَاتَ بَيْنَكُمْ قَدِ احْتُبِسَ عَنِ الجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدَّيْنِ الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ الله)**»[2].

سادسًا: قضاء النَّذر والكفَّارة عن الميت:

عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن سعد بن عبادة الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ استفتى النبي ﷺ في نذرٍ كان على أمه، فتوفيت قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها، فكانت سُنَّةً بعد»[3].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أتى رجل النبيَّ ﷺ، فقال له: إن أختي قد نذرت أن تحج، وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: **(لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟)**، قال: نعم. قال ﷺ: **(فَاقْضِ اللهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ)**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٥٣٦)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٣٣٠٤)، وصححه الألباني في الإرواء (١٤١٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٢٢١٤)، وصححه، وصححه كذلك الألباني في أحكام الجنائز (٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٨)، ومسلم (١٦٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٩٩).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أنه قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال ﷺ: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِيهِ، أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكِ عَنْهَا؟). قالت: نعم. قال ﷺ: (فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ)»[١].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أختي ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين، قال ﷺ: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُخْتُكِ دَيْنٌ، أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟)، قالت: بلى. قال ﷺ: (فَحَقُّ اللهِ أَحَقُّ)»[٢].

وقال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا مَرِضَ الرَّجُلُ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يَصُمْ، أُطْعِمَ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ، قَضَى عَنْهُ وَلِيُّهُ»[٣].

سابعًا: قضاء الصوم عن الميت:

إذا مات المسلم وعليه صوم في ذمته من نَذْرٍ أو كفَّارةٍ، فصام عنه وليُّه، نفعه ذلك، ومن مات وعليه صوم أيامٍ من رمضان لعذرٍ؛ كالسفر أو الحيض أو المرض الذي يُرجى شفاؤه، فقد اختُلِفَ: أيُجزئ الصوم عنه أو لا[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٥٨)، وصححه ابن حبان (٣٥٣٠)، والألباني في التعليقات الحسان (٣٥١٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٧٨).

(٤) ومن أراد التوسع في المسألة فلينظر المنتقى، للباجي (٢/ ٦٣)، والمجموع، للنووي (٦/ ٤٢٥)، والمغني، لابن قدامة (٣/ ١٤٣)، وبدائع الصنائع، للكاساني (٢/ ١٠٣٧)، والمحلى، لابن حزم =

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[١].

وفي رواية: «أَيُّمَا مَيِّتٍ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، فَلْيَصُمْهُ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[٢].

وعن بُرَيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ؛ إذ أتته امرأة، فقالت: إنِّي تصدقت على أمي بجاريةٍ، وإنها ماتت، فقال ﷺ: (وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ المِيرَاثُ). قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال ﷺ: (صُومِي عَنْهَا)»[٣].

وفي روايةٍ أنها قالت: «وإنها ماتت وعليها صوم شهر، أفيُجْزِئ أو يقضي عنها أن أصوم عنها؟ قال ﷺ: (نَعَمْ)»[٤].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أن امرأةً أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال ﷺ: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ، أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟). قالت: نعم. قال ﷺ: (فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ)»[٥].

=

(٦/ ٤١٢)، وقد جمع الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم أقوال المذاهب في المسألة باختصار في كتابه الإحسان إلى الأموات، وما يصل إليهم من ثواب القربات، فليراجع من (ص٩٧-١١٠).

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٤٠٢)، وأصله متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم (١١٤٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٧٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٥) أخرجه مسلم (١١٤٨).

وفي رواية عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا أنه قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال ﷺ: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِيهِ، أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكِ عَنْهَا؟). قالت: نعم. قال ﷺ: (فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ)»[١].

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أختي ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين. قال ﷺ: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُخْتِكِ دَيْنٌ، أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟). قالت: بلى. قال ﷺ: (فَحَقُّ الله أَحَقُّ)»[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن امرأةً ركبت البحر، فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهرًا، فنجاها الله، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها- أو أختها- إلى رسول الله ﷺ، فأمرها أن تصوم عنها»[٣].

وقال النبيُّ ﷺ لعمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَمَّا أَبُوكَ، فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ»[٤].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إِذَا مَرِضَ الرَّجُلُ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ

(١) أخرجه مسلم (١١٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٥٨)، وصححه ابن حبان (٣٥٣٠)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣٥١٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٦١)، وأبو داود (٣٣٠٨)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٦٧٠٤)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).

يَصُمْ، أُطْعِمَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ، قَضَى عَنْهُ وَلِيُّهُ»[(١)].

ثامنًا: الحَجُّ والعمرة عن الميت:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: لبَّيك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: (مَنْ شُبْرُمَةُ؟). قال: قريب لي. قال ﷺ: (هَلْ حَجَجْتَ قَطُّ؟). قال: لا. قال: (فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ احْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ)»[(٢)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتى رجل النبي ﷺ، فقال له: إن أختي قد نذرت أن تحجَّ، وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: (لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟). قال: نعم. قال ﷺ: (فَاقْضِ اللهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ)»[(٣)].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن امرأةً جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال ﷺ: (نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا)»[(٤)].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: أحجُّ عن أبـي؟ قال ﷺ: (نَعَمْ، حُجَّ عَنْ أَبِيكَ، فَإِنْ لَمْ تَزِدْهُ خَيْرًا، لَمْ تَزِدْهُ شَرًّا)»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٧٨).

(٢) رواه أبو داود (١٨٨١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣١٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٩٠٤)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٢٠١)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ فقال ﷺ: (**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ**)»[1].

ولمَّا أراد عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتصدق عن أبيه بعد موته، قال له النبيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا، فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ، بَلَغَهُ ذَلِكَ**»، وفي روايةٍ: «**نَفَعَهُ ذَلِكَ**»[2].



(١) رواه ابن حبان (٣٩٩٢)، وصححه، وصححه أيضًا الألباني في الصحيحة (٣٠٤٧).

(٢) الرواية الأولى لأبي داود (٢٨٨٣)، والثانية لأحمد (٦٧٠٤)، وحسنهما الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨).

السؤال الستون

هل ينتفع الميت بإهداء ثواب قراءة القرآن له؟

الجواب: الله أعلم.

فهي مسألة اختلف فيها الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين، ففريق يرى أن الميت في برزخه لا يصله ثواب قراءة القرآن، ولا ينتفع بذلك، والفريق الآخر يرى أنه يصله الثواب وينتفع به؛ وسبب هذا الاختلاف عدم وجود نصٍّ صريحٍ من القرآن أو السُّنة يفصل في المسألة، وعدم ثبوت فعل ذلك عن أحدٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وإنِّي أُوجِّه سؤالًا لمن أراد نفع الميت: لماذا تترك العمل المتفق عليه، والذي جاء فيه نص صحيح صريح يخبر أن ثوابه يصل إلى الميت، وينتفع به، وتُسخِّر طاقتك وجهدك في أمرٍ تنازع العلماء فيه: أَيَصِلُ ثوابه للميت وينتفع به أو لا؟!

(١) للتعرف على أقوال العلماء في ذلك انظر بدائع الصنائع، للكاساني (٣/ ١٢٨٩)، والشرح الكبير، للخرشي (٢/ ٢٨٩)، والمجموع، للنووي (٥/ ٣٢١)، والمغني، لابن قدامة (٢/ ٥٦٩)، وانظر كتاب الإحسان إلى الأموات، وما يصل إليهم من ثواب القربات للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم من (ص١٣٤-١٥٧)، فقد جمع أقوال الأئمة في المسألة، وهو كتاب مختصر نافع.

أما ما يُروَى عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَلَا تَحْبِسُوا، وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفَاتِحَةِ البَقَرَةِ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ بِخَاتِمَتِهَا فِي قَبْرِهِ**»، فهو حديث ضعيف لم يثبت، فلا يُحتج به[1].

وأما حديث: «**اقْرَءُوا (يس) عَلَى مَوْتَاكُمْ**»، وفي لفظٍ: «**عِنْدَ مَوْتَاكُمْ**»[2]، فهو حديث ضعيف، وإن كان عليه العمل عند بعض أهل العلم، فليس معناه القراءة بعد الموت، بل المقصود عند الاحتضار، وهذا ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فقد مرَّ معنا أن الصحابيَّ الجليل غُضَيف بنَ الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حضره الموت قال لمن حوله: «هل منكم أحد يقرأ سورة (يس)؟، فقرأها صالح بن شريح السكوني، فلما بلغ أربعين منها، قُبض غضيف بن الحارث، قال: وكان المشيخة- يعني: من التابعين- يقولون: إذا قُرئت عند الميت خُفِّف عنه»[3].



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٢٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٤٤): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون، وضعفه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٣).

(٢) الرواية الأولى عند أحمد (٢٠٣٠١)، وأبي داود (٣١٢١)، والثانية عند ابن ماجه (١٤٤٨)، والحديث ضعفه ابن حجر في التلخيص (٢/ ١٠٤)، وضعفه النووي في خلاصة الأحكام (٣٢٧٨)، وضعفه الألباني في الإرواء (٦٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٦٩)، وحسنه الأرنؤوط، ومن قبله حسنه ابن حجر في الإصابة (٥/ ٢٤٩)، وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ١٥١).

السؤال الحادي والستون

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

أولًا: بالنسبة للكافر:

فإن عذابه دائم لا ينقطع إلى يوم القيامة بنصِّ الكتاب والسُّنة.

فقد قال الله تعالى عن فرعون ومَنْ كفر معه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [سورة غافر:٤٥، ٤٦].

وقال النبيُّ ﷺ: «وَنَسَمَةُ الكَافِرِ فِي سِجِّينٍ»[(١)].

فالكافر ليس له حسنة تنفعه بعد موته؛ لأن حسناته قد جُوزي عليها في الدنيا؛ لقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١٥٦٩)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٠٥)، وصححه الشيخ/ مصطفى العدوي في تحقيقه للمنتخب من مسند عبد حميد.

فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود:١٥، ١٦].

ولقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»[1].

ولا تنفعه شفاعة الشافعين له بالدعاء والاستغفار؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [سورة المدثر:٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة المنافقون:٦]، ولقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة:٨٠].

وقد ثبتت شفاعة النبيِّ ﷺ في تخفيف العذاب عن عمِّه أبي طالب، ولكن ذلك يوم القيامة، أما الكلام هنا عن عالم البرزخ.

ولا ينفع الكافر ما ينفعُ الأمواتَ من عمل الأحياء، فإنَّ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يتصدق عن أبيه الذي مات كافرًا، فقال له النبيُّ ﷺ: «أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ، بَلَغَهُ ذَلِكَ»(١).

ثانيًا: بالنسبة للمؤمنين:

فالذي يظهر مما ثبت عن النبيِّ ﷺ أن المُعذَّبين منهم على قسمين:

الأول: يدوم عذابه إلى يوم القيامة.

كتارك الصلاة، والذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، والمتكبر المُختال، وغيرهم ممن صرَّحت الأحاديث الصحيحة بدوام عذابهم إلى يوم القيامة.

ففي الحديث الذي يخبر فيه النبيُّ ﷺ عمَّا رآه في البرزخ مع جبريل وميكائيل، يقول ﷺ: «قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٢).

وقال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي

---

(١) الرواية الأولى لأحمد (٦٧٠٤)، والثانية لأبي داود (٢٨٨٣)، وحسَّنها الألبانيُّ في أحكام الجنائز (٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٦، ٧٠٤٧).

الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[١].

والثاني: تنفعه حسناته الجارية التي عملها في الدنيا، وبقي أثرها معه في برزخه، أو ينتفع بما ينفع الأموات من عمل الأحياء، فيخفَّف عنه العذاب، أو ينقطع تمامًا، وذلك لعموم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود:١١٤]، فإن عذاب المؤمن في قبره سببه سيئاته التي لم يتب منها، أو لم يفعل ما يكفرها.

فعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: (**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**)، قال: ثم أخذ جريدةً رطبةً، فشقَّها نصفين، فغرز في كل قبرٍ واحدةً. قالوا: يا رسول الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال: (**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**)»[٢].

وفي رواية جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال ﷺ: «**فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**»[٣].

وقد مَرَّ معنا قول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ القُبُورِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠١٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٣٤٨٤).

وقال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أبي مات، وترك مالًا، ولم يوص، فهل يُكفِّر عنه أن أتصدَّق عنه؟ قال ﷺ: (نَعَمْ)»[(٢)].

وهناك من يعفو الله عنهم بفضله ورحمته، فقد أخبرنا النبيُّ ﷺ أنه رأى في البرزخ مع جبريل وميكائيل بعض المسلمين كانت له ذنوب، فتجاوز الله عنها، فقال ﷺ: «أَتَانِـي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَا: أَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ»[(٣)].

فهذا الذي يظهر من نصوص القرآن والسُّنة، والله أعلم[(٤)].



(١) أخرجه أحمد (١٥٢٨٤)، وصححه الألبانـيُّ في صحيح الجامع (٥١٣٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧٤).
(٤) وينظر في ذلك كتاب الروح، لابن القيم (ص١١٣).

السؤال الثاني والستون

لماذا لا يَرى الأحياءُ نعيمَ القبر وعذابَه أو يَسمعونه؟

أولًا: لأن ذلك جزء من الغيب الذي رتب الشرع على الإيمان به الثواب والعقاب، والجنة والنار، فالإيمان به جزءٌ من الإيمان باليوم الآخر؛ فقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ»[1].

فلو كشف اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الغطاء، وأصبح الغيب شهادةً، فأين الامتحان عندئذٍ؟!

فإن هذا الغيب قد جعل الله بيننا وبينه ستارًا، فلا تدركه الأبصار، ولا يعرفه البشر بالحواس، ولكن يؤمن به مَن آمن بالله ورسوله.

ثانيًا: ليس الذي في البرزخ من نعيمٍ أو عذابٍ من جنس المعهود لدينا في الدنيا، ومع ذلك قد أخبر النبيُّ ﷺ أنه رأى وسمع بعض ما يحدث في البرزخ من نعيمٍ وعذابٍ.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن عذاب القبر يسمعه كل شيءٍ إلا الإنس والجن، كما في

(١) أخرجه أحمد (٤٥٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وصححه الحاكم (١٠٧)، وصححه أيضًا الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤).

قوله ﷺ عن الكافر: «فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(١).

وذلك لأنَّ هذه المخلوقات ليست مكلفةً، وليس لها عذاب أو نعيم في هذه القبور، أما الإنس والجن فهم المكلفون، وهم الذين لهم بعد الموت عذاب أو نعيم، فلربما لو سمع البشر أصوات المعذبين، امتنعوا عن دفن موتاهم حتى لا يصيبهم مثل ما سمعوه أو رأوه، كما في قصة الرجل الذي قال لأبنائه: «إِذَا أَنَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ، لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا»(٢).

وهذا المعنى قد أشار إليه النبيُّ ﷺ بقوله: «لَوْلَا أَلَّا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»(٣).

أي: فلولا مخافة عدم دَفْن بعضكم بعضًا إذا سمعتم عذاب القبر، لدعوت الله سبحانه أن يُسْمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع منه(٤).



(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٨).

(٤) وانظر كتاب الروح، لابن القيم (٨٣)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للهرري (٢٦/ ٣١).

السؤال الثالث والستون
هل صحيح أن المؤمن يصلي في قبره؟

ثبت عن النبيِّ ﷺ أن الأنبياء في برزخهم يصلُّون، كما في قوله ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي: نَفْسَهُ- فَحَانَتِ**

---

(١) أخرجه البزار (٢٥٦)، وأبو يعلى (٣٤٢٥)، وصححه الألبانيُّ في الصحيحة (٦٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُمْ»[(١)].

وفي رواية ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «فلمَّا دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى، قام يصلي، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه»[(٢)].

أما عامة المؤمنين، فلم يثبت عندنا إلا قول النبيِّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ المَيِّتُ القَبْرَ، مُثِّلَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا، فَيَجْلِسُ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي»[(٣)].

وقال ﷺ: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ، وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٤)، والبيهقي في البعث والنشور (١٨٨)، وصححه أحمد شاكر، ومن قبله صحح ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨)، وصححه السيوطي في الخصائص (١/ ٣٩٧)، وأما الأرنؤوط فقد ضعفه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٢)، وابن حبان (٣١١٦)، وصححه، وصححه أيضًا الألباني في ظلال الجنة (٨٦٧).

تَشَهَّدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ»[1].

والصلاة في البَرزخ ليست تكليفًا، بل هي شيء من النعيم فيه لمن أراده، فمن الناس من جُعلت مُتعته وقرَّة عينه في الصلاة؛ كنبينا محمدٍ ﷺ الذي قال: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[2]، ولا شك أن الأنبياء كذلك.

بل ومن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من جُعلت قرَّة عينه في الصلاة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقاع، فأصاب رجل امرأة رجلٍ من المشركين، فحلف ألَّا ينتهي حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلًا، فقال: (مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا؟)، يعني: يحرسنا، فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقال ﷺ: (كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ). قال: فلمَّا خرج الرجلان إلى فَمِ الشِّعْبِ، اضطجع المهاجر، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخصه، عرف أنه ربيئةٌ للقوم- يعني: عينهم وحارسهم- فرماه بسهمٍ، فوضعه فيه، فنزعه، حتى رماه بثلاثة أسهمٍ، ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب، فلما رأى المهاجر ما بالأنصاري من الدم قال: سبحان الله! ألا أنبهتني أول ما

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، والحاكم (١٤٠٣)، وصححه ابن حبان، والحاكم، وحسَّنه الألباني في التعليقات الحسان (٣١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢٩٣)، والنسائي في الكبرى (٨٨٣٦)، وصححه الحاكم (٢٦٧٦)، وصححه أيضًا الألبانـي في صحيح الجامع (٣١٢٤).

رمى؟ قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمي، ركعت فأريتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثَغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقَطع نفسي قبل أن أقطعها أو أُنْفذها»[(١)].

وكذلك من التابعين من جُعلت قرَّة عينه في الصلاة، فقد ثبت عن ثابتٍ البُنانِيِّ أنه كان يقول: «اللهم إن كنتَ أعطيت أحدًا من خلقكَ أن يصلي لك في قبره، فأعطني ذلك»[(٢)].

وروى أبو نُعيم بسنده عن شَيْبان بن جسر عن أبيه قال: «أنا- والله الذي لا إله إلا هو- أَدخلتُ ثابتًا البنانيَّ لَحْده، ومعي حميد الطويل أو رجل غيره- شك محمد- قال: فلما سوَّينا عليه اللَّبِن، سقطت لَبِنةٌ، فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معه: ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوَّينا عليه وفرغنا، أتينا ابنته، فقلنا لها: ما كان عمل أبيكِ ثابتٍ؟ فقالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنةً، فإذا كان السَّحر قال في دعائه: (اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خَلْقِكَ الصلاة في قبره، فأعطنيها)، فما كان الله ليردَّ ذلك الدعاء»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٠٤)، وأبو داود (١٩٨)، وصححه الحاكم (٥٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦٧٧)، والبيهقي في الشعب (٢٩٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٩).

وخلاصة الأمر: أن الأنبياء قد صرَّحت النصوص الثابتة أنهم أحياء في برزخهم يصلُّون، وأما عامة المؤمنين، فقد جاءت الإشارة بذلك، فلعلَّ مَنْ أحب منهم الصلاة في برزخه صلَّى، فتكون له جزءًا من نعيم البرزخ، خاصةً لمن كانت الصلاة قرَّة عينه في الدنيا، والله أعلم[(١)].



(١) انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٣٣٠)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (٦/ ١٩٢).

السؤال الرابع والستون

كيف رأى النبيُّ ﷺ في الإسراء والمعراج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قبره يصلي، ثم دخل المسجد الأقصى، فرآه يصلي، ثم عُرِج به إلى السماء، فرآه فيها؟

اعلم- رحمك الله- أن رحلة الإسراء والمعراج لها حِكَمٌ ربانية، بيَّنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة (الإسراء) التي تتحدَّث عن قصة الإسراء، وفي سورة (النجم) التي تتحدث عن قصة المعراج، وهذه الحِكَم تتلخص في الآتي:

أولًا: ليَرى النبيُّ ﷺ من آيات ربه الكبرى:

كما في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١]، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [سورة النجم:١٨].

ثانيًا: أن الله تعالى جعل ما سيُخبر به النبيُّ ﷺ الناسَ من آيات هذه الرحلة فتنةً وامتحانًا لهم:

كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء:٦٠].

وقد روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء:٦٠]، أنه قال: «هي رؤيا عينٍ، أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس»[(١)].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَفَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ، فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِي: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ. قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ. فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَانْفَضَّتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ. قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالُوا: وَأَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ لِلتَّكْذِيبِ مُنْكِرًا»[(٢)].

وفي روايةٍ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فقال ناسٌ: نحن نصدق محمدًا بما يقول؟ فارتدوا كفارًا»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨١٩)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٢١).

(٣) أخرجه أحمد (٣٥٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٢١٩)، وصححه ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٨).

وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدَّث الناس بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسَعَوْا بذلك إلى أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنه أُسْرِيَ به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك، لقد صدق. قالوا: أوَ تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إنِّي لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سُمِّي أبو بكرٍ الصدِّيق»[(١)].

وخلاصة الأمر: أنَّ ما رآه النبيُّ ﷺ من أعاجيب في رحلة الإسراء والمعراج كرؤيته لموسى عَلَيهِٱلسَّلَامُ يصلي في قبره، ثم رآه في المسجد الأقصى يصلي، ثم رآه في السماء، وغير ذلك مما هو أعجب، فهو من آيات الله الكبرى التي أراها اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ، وجعلها سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فتنةً للناس، فلا غرابةَ في ذلك، والله على كل شيءٍ قدير، والمؤمن الحق عليه أن يُصدِّق كما صدَّق أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذلك هو مَحْضُ الإيمان.



(١) أخرجه الحاكم (٤٤٠٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في الصحيحة (٣٠٦).

السؤال الخامس والستون
هل تُقبض أرواح الأحياء في منامهم؟

الجواب: نعم.

فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر:٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الأنعام:٦٠].

فإنَّ الله يقبض أرواح الأحياء في منامهم، ويجمعها في مكانٍ يعلمه الله؛ لذا قال النبيُّ ﷺ: «النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ»[(١)].

وكان ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩١٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨٦).

عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[(١)].

وعن حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا أوَى إلى فراشه قال: (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ)، وإذا أصبح قال: (الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)»[(٢)].

وعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين ناموا عن الصلاة في إحدى الأسفار: «إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»[(٣)].



(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧١).

السؤال السادس والستون

هل تلتقي أرواح الأحياء إذا توفاها اللهُ في منامها؟

الجواب: نعم.

وليس معنى ذلك أنَّ هذا اللقاء يكون دائمًا، ولكن دلَّت النصوص الثابتة على أن الأرواح تلتقي.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْتَقِي عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ، مَا رَأَى أَحَدُهُمْ صَاحِبَهُ قَطُّ**»[1].

وعن خُزَيمة بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيتُ في المنام كأني أسجد على جبهة النبي ﷺ، فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ، فقال: (**إِنَّ الرُّوحَ لَتَلْقَى الرُّوحَ**)، وأقنعَ النبيُّ ﷺ رأسَه هكذا، فوضع جبهته على جبهة النبي ﷺ»[2].

ولعل هذا الالتقاء للأرواح من أسباب تعارفها وتآلفها، أو تناكرها وتخالفها.

(١) أخرجه أحمد (٦٦٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦١)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٦٤)، وابن حبان (٧١٤٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٤٦٢٤)، وصححه الشيخ مصطفى العدوي في تحقيق المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢١٦).

فقد قال النبي ﷺ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[1].

وجاء في روايةٍ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَطُوفُ بِاللَّيْلِ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[2].



(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه على صحيح مسلم (١١٥١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو منكر بهذه الزيادة: تَطُوفُ بِاللَّيْلِ.

السؤال السابع والستون

هل تلتقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات؟

روى الطبراني بسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر:٤٢]، أنه قال: «تَلْتَقِي أَرْوَاحُ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ فِي المَنَامِ، فَيَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَيُمْسِكُ اللهُ أَرْوَاحَ المَوْتَى، وَيُرْسِلُ أَرْوَاحَ الأَحْيَاءِ إِلَى أَجْسَادِهَا»(١).

وروى الطبري بسندٍ حسنٍ عن السُّدِّيِّ- وهو تابعي من تلامذة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أنه قال في نفس الآية: «تُقبضُ الأرواح عند نيام النائم، فتُقْبض روحه في منامه، فتلقى الأرواح بعضها بعضًا، أرواح الموتى وأرواح النِّيام، فتلتقي فتساءل، قال: فيُخْلَى عن أرواح الأحياء، فترجع إلى أجسادها، وتريد الأخرى أن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٢٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٤٤٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٠): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، وانظر تنبيه الهاجد، للشيخ أبي إسحاق الحويني (١٨٠).

ترجع، فيَحْبس التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى. قال: إلى بقية آجالها»[(١)].

ولعلَّ لقاء أرواح الأحياء بأرواح الأموات يدخل تحت قول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الرُّوحَ لَتَلْقَى الرُّوحَ**»[(٢)].



(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢١٦) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٢٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٦٤)، وابن حبان (٧١٤٩)، وصححه، وصححه أيضًا الألبانيُّ في المشكاة (٤٦٢٤).

السؤال الثامن والستون

البعض يَستدل بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ على أن الناس ينامون في قبورهم إلى يوم البعث بلا نعيم أو عذاب، فهل هذا استدلال صحيح؟

الجواب: غير صحيحٍ بلا شكٍّ.

وذلك لأن الأدلة قد تواترت من القرآن والسُّنة على وجود نعيم البرزخ وعذابه، وقد تمَّ بيان ذلك، والحمد لله.

وهذا الإشكال وقع لهم من قول الكافرين بعدما يبعثون يوم القيامة: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [سورة يس:٥٢]، والمَرْقد في لسان العرب: المَضجع، أو مكان الرقاد، والرقاد: النوم، فظنوا أن الآية تعني أنهم كانوا نيامًا في قبورهم إلى يوم البعث بلا عذابٍ أو نعيمٍ، وهذا خطأ عظيم، وعدم فهمٍ لما جاء في القرآن والسُّنة(١).

---

(١) انظر لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٨٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢م٢٤٥).

أما عن قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

[سورة يس:٥١، ٥٢].

فقد روى ابن جرير الطبري بسنده عن الصحابيِّ الجليل أُبيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [سورة يس:٥٢] أنه قال: «ناموا نومةً قبل البعث»(١).

وروَى بسنده عن التابعي الجليل قتادة أنه قال في نفس الآية: «هذا قول أهل الضلالة. والرقدة: ما بين النفختين»(٢).

وروى ابن أبي شيبة بسنده عن أبي صالحٍ - وهو من التابعين- أنه قال عن نفس الآية: «كانوا يرون أن العذاب يخفف عن أهل القبور ما بين النفختين، فإذا جاءت النفخة الثانية قالوا: يا ويلنا! مَن بعثنا من مرقدنا»(٣).

وقال البغوي في تفسيره: «قال أُبيُّ بن كعبٍ وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا؛ لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون، فإذا بعثوا بعد

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٥٦)، وسنده منقطع، وانظر تفسير ابن كثير (٦/ ٥٨٢)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٧/ ٦٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٣٢) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ١٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٥١٣).

النفخة الأخيرة، وعاينوا القيامة، دعوا بالويل)»[(١)].

وقال مُقاتل بن سليمان في (تفسيره)- وهو من تابعي التابعين- عن نفس الآية: «وذلك أن أرواح الكفار كانوا يعرضون على منازلهم من النار طرفي النهار، فلما كان بين النفختين، رفع عنهم العذاب، فرَقدت تلك الأرواح بين النفختين، فلمَّا بعثوا في النفخة الأخرى، وعاينوا في يوم القيامة ما كانوا يكذبون به في الدنيا من البعث والحساب، دعوا بالويل، فقالوا: يا ويلنا! مَن بعثنا من مرقدنا»[(٢)].

والنفختان هما اللَّتان في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر:٦٨].

وجاء في (الصحيحين) عن أبي صالح أنه قال: «سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ). قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أَبيتُ. قالوا: أربعون سنةً؟ قال: أَبيتُ. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أَبيتُ»[(٣)].

قال النَّوويُّ في قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(أَبَيْتُ)**: «أي: أَبيتُ أن أجزم أن المراد أربعون يومًا، أو سنةً، أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملةً. قال: وقد

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

جاءت مفسرةً من رواية غير مسلم: (أربعون سنةً))»[1].

وقال ابن كثير في (تفسيره): ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [سورة يس:٥٢]: «يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد»[2].

وخلاصة الأمر: أن الآية لا تنفي عذاب القبر أو البرزخ، بل تتحدث عن قول الكفار عند البعث، ولقد عَرضتُ الأقوال التي تخبر عن سبب قولهم هذا يومَ القيامة.



(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٩/ ٣٤٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٨١).

السؤال التاسع والستون

هل الأموات في برزخهم يسمعون نفخة الصُّور الأولى التي تفزع وتصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى؟

الجواب: لم يأتنا من القرآن أو فيما ثبت من السُّنة ما يقطع بنعم أو لا.

أمَّا ما جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال عن هذه النفخة: «وَالأَمْوَاتُ يَوْمَئِذٍ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ»[1]، فهو حديث ضعيف لم يثبت عن النبيِّ ﷺ، فلا يحتج به.

وجاء فيه أن النبيَّ ﷺ قال: «فَيَأْمُرُ اللهُ ﷻ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، فَيَأْمُرُهُ، فَيَمُدُّهَا وَيُطِيلُهَا، وَلَا يَفْتُرُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [سورة ص:١٥]، فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبَالَ، فَتَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَتَكُونُ سَرَابًا، فَتَرُجُّ الأَرْضَ بِأَهْلِهَا رَجًّا، فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوقَرَةِ فِي

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وضعَّفه الألبانيُّ في تعليقاته على الطحاوية (٢٣٢).

البَحْرِ تَضْرِبُهَا الرِّيَاحُ، وَتَكْفِيهَا الرِّيَاحُ، أَوْ كَالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بِالعَرْشِ تُرَجِّحُهُ الأَرْوَاحُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [سورة النازعات:٦-٨]، فَتَمْتَدُّ الأَرْضُ بِالنَّاسِ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ، وَيَشِيبُ الوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً مِنَ الفَزَعِ، حَتَّى تَأْتِيَ الأَقْطَارَ، فَتَلْقَاهَا المَلَائِكَةُ تَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ فَتُوَلِّي النَّاسَ مُدْبِرِينَ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [سورة غافر:٣٢]، بَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ، فَانْصَدَعَتْ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ، وَأَخَذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الكَرْبُ وَالهَوْلُ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هِيَ كَالمُهْلِ، ثُمَّ انْشَقَّتْ فَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، فَانْخَسَفَتْ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا»، قال رسول الله ﷺ: «وَالأَمْوَاتُ يَوْمَئِذٍ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ»[1].



(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وضعَّفه الألبانيُّ في تعليقاته على الطحاوية (٢٣٢).

السؤال السبعون

هل جاء في القرآن أو السنة خبر عمن استثناهم الله تعالى في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾؟

الجواب: نعم.

فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «سأل رسول الله ﷺ جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر:٦٨]: (مَنِ الَّذِينَ لَمْ يَشَاءِ اللهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟ قَالَ: هُمْ الشُّهَدَاءُ)»[١].

وقد قال الله تعالى عن الشُّهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩].

فيظهر- والله أعلم- أن كل فزعٍ بعد الموت يُؤَمِّنُ اللهُ الشهيدَ الذي مات في سبيله منه، كفتنة القبر، ونفختي الصور، فكل ذلك مُفزع إلا لمن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه الحاكم (٣٠٠٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٨٧).

وقد سئل النبيُّ ﷺ: «يا رسول الله، ما بالُ المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً)»[(١)].

وقال ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[(٢)].

وجاء في (الصحيحين)، وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رجلٌ من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (قَالَ اللهُ عَجَلَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر:٦٨]، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ)»[(٣)].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ،

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الترمذي، وصححه أيضًا الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ»(١).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»(٢).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»(٣).

وخلاصة الأمر: أنه لم يثبت فيمن استثناهم الله تعالى في تلك الآية الكريمة إلا الشهداء، أما بخصوص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنبينا محمد ﷺ أخبر أنه لا يدري أهو ممن استثنى اللهُ أم لا، وإن قال قائلٌ: لماذا الشهداء دون غيرهم، وهناك من هو أفضل منهم عند الله كالأنبياء؟ فيقال له: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٥٤]، فهذا الذي يظهر، والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

السؤال الحادي والسبعون

كيف يبعث اللهُ الأجساد يوم القيامة من قبورها بعدما بليت وأكلتها الأرض؟

أولًا: اعلم- رحمك الله- أن الإنسان لن يكون مؤمنًا حتى يؤمن بالبعث بعد الموت.

قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [سورة التغابن:٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٥، ١٦].

وسأل رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: «يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ الآخِرِ)»[(١)].

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ العَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَسُولُ اللهِ، وَيُؤْمِنُ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ»[1].

ثانيًا: لا تنسَ أن الله عزيزٌ قادرٌ على كل شيء، وإنما أَمْره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، وأن أمر البعث يسيرٌ هَيِّنٌ على الله رب العالمين.

فهو القائل سبحانه: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن:٧].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم:٢٧].

وقال اللهُ تعالى في الحديث القدسي: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»[2].

وإن بين أيدينا في القرآن والسُّنة قصصًا تَجَلَّتْ فيها قدرة الله العظيم سبحانه في جمع العظام البالية، والأشلاء المتناثرة، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

قال ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥٨)، وابن حبان (١٧٨)، والحاكم (٩٠)، وصححه ابن حبان والحاكم، وصححه أيضًا الألباني في المشكاة (١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٤).

يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

[سورة البقرة:٢٥٩].

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾: لم يتغير»[(١)].

وعن علـيٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «خرج عزير نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمرَّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها، قال: أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، فأول ما خلق عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه، ينظم بعضها إلى بعضٍ، ثم كُسيَت لحمًا، ونفخ فيه الروح، وهو رجل شاب، فقيل له: كم لبثت؟ قال: يومًا أو بعض يومٍ. قال: بل لبثت مائة عامٍ، قال: فأتى المدينة، وقد ترك جارًا له إسكافًا شابًّا، فجاء وهو شيخ كبير»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٥٠٣) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٣٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٥٠٢)، والحاكم (٣١١٧)، وصححه، ووافقه الذهبي.

مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٠].

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول إبراهيم: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة:٢٦٠]، قال: «أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك»[(١)].

وقال سعيد بن جبير وقتادة في قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة:٢٦٠]: لأزداد يقينًا[(٢)].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: «فمزقهن، وقال: أمر أن يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش، ثم يجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا»[(٣)].

فقد سأل إبراهيم ﷺ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم، هل هي جارية على نواميس معينة أم هي مجرد قدرة يقول صاحبها للشيء: كن فيكون، فسأله ربه وهو عليم به: أتقول الذي تقول ولن تؤمن؟ قال إبراهيم: بلى أنا مؤمن بأنك على كل شيءٍ قدير، ولكن أريد أن أرى صورةً لذلك يطمئن لها قلبي

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٥٠٢) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٣٧١).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٧): رواه الطبري بسند صحيح عن سعيد. وقال صاحب الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٣٧١): أخرجه عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٥١٢)، بسند صحيح كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٣٧٢).

ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي، فأمره تعالى إجابة له؛ لأنه وليه، فلم يشأ أن يتركه يتطلع إلى كيفية إحياء ربه الموتى، أمره بأخذ أربعة طيور وذبحها وتقطيعها أجزاء، وخلطها مع بعضها بعضًا، ثم وضعها على أربعة جبالٍ، على كل جبلٍ ربع الأجزاء المخلوطة، ففعل، ثم أخذ برأس كل طيرٍ على حدةٍ، ودعاه، فاجتمعت أجزاؤه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره، وجاءه يسعى، فقدَّم له رأسه، فالتصق به، وطار في السماء، وإبراهيم ينظر ويشاهد مظاهر قدرة ربه العزيز الحكيم سبحانه، لا إله غيره، ولا رب سواه[١].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا»[٢] «فَأَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ»[٣] «فَلَمْ يَعْمَلْ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ»[٤] «فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ»[٥] «قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي»[٦] «حَتَّى تَدَعُونِي حُمَمَةً، ثُمَّ اطْحَنُونِي»[٧]

---

(١) نقلًا من أيسر التفاسير، لأبي بكرٍ الجزائري (١/ ٢٥٢) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٨٥)، وصححه الأرنؤوط، وأصله متفق عليه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٧٨).

(٦) أخرجه أحمد (١١٧٣٦)، وأصله متفق عليه.

(٧) أخرجه أحمد (٣٧٨٥) موقوفًا، وهو وإن كان موقوفًا فله حكم الرفع، وصححه الأرنؤوط.

«فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ»[١] «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»[٢] «فَوَاللهِ، لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ، فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ»، قال ﷺ: «فَغَفَرَ اللهُ لَهُ»[٣].



(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٦).

السؤال الثاني والسبعون

لماذا ضُرِبَ المَثَلُ في القرآن لبعث الناس من قبورهم بخروج النبات من الأرض؟

الجواب: لأنَّ الأجساد التي بَليت في باطن الأرض لم يبقَ منها إلا عظم صغير جدًّا لا يبلى، ولا تأكله الأرض، وهو عَجْب الذَّنَب، فيبقى مدفونًا في باطنها كالبذرة التي تدفن في الأرض، وينزل عليها الماء، فتخرج زرعًا ونباتًا يشق الأرض شقًّا.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

وقال ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[٢].

فينزل على هذه العَظْمةِ المدفونة في باطن الأرض ماء من السماء يشبه مَنِيَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

الرجال، يقال له: ماء الحياة، فتنبت منه أجساد الناس.

فقد قال رسولُ الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ- أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[2].

وقال ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ يَنْبُتُ، وَيُرْسِلُ اللهُ مَاءَ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ نَبَاتَ الخَضِرِ، حَتَّى إِذَا أُخْرِجَتِ الأَجْسَادُ، أَرْسَلَ اللهُ الأَرْوَاحَ، وَكَانَ كُلُّ رُوحٍ أَسْرَعَ إِلَى صَاحِبِهِ مِنَ الطَّرْفِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[3].

وفي رواية عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، فَلَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ خَلْقٌ إِلَّا مِنْهُ شَيْءٌ، فَيُرْسِلُ اللهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ العَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَتَنْبُتُ لُحْمَانُهُمْ وَجُثْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، كَمَا يُنْبِتُ الأَرْضُ مِنَ الثَّرَى»، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٩١)، وقال الألبانيُّ في ظلال الجنة (٨٩١): إسناده جيد.

بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [سورة فاطر:٩] قال: «ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بِالصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ، فَيَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، ثُمَّ يَقُومُونَ، فَيَحْيَوْنَ حَيَاةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ العَالَمِينَ»[1].

لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف:٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الروم:١٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الزخرف:١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [سورة ق:٩-١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [سورة فاطر:٩].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٤)، والحاكم (٣٨٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

لذلك، لَمَّا جاء القرآن يُعبِّر عن خروج النبات من الأرض بانشقاق الأرض عنه كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [سورة عبس:٢٤-٢٧]، قال النبيُّ ﷺ عن البعث: «**إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ**»[1].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»[2].



(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢).
(٢) رواه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذي (٣١٤٨)، وابنُ ماجه (٤٣٠٨)، وحسنه الترمذي.

السؤال الثالث والسبعون

كيف تعود الأرواح إلى أجسادها عند البعث؟

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ يَنْبُتُ، وَيُرْسِلُ اللهُ مَاءَ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ نَبَاتَ الخَضِرِ، حَتَّى إِذَا أُخْرِجَتِ الأَجْسَادُ، أَرْسَلَ اللهُ الأَرْوَاحَ، وَكَانَ كُلُّ رُوحٍ أَسْرَعَ إِلَى صَاحِبِهِ مِنَ الطَّرْفِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[١].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بِالصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ، فَيَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، ثُمَّ يَقُومُونَ، فَيَحْيَوْنَ حَيَاةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ العَالَمِينَ»[٢].

وأما أرواح المؤمنين خاصَّة، فقد جاء في بيان رجوعها إلى أجسادها رواياتٌ، منها:

قول النبيِّ ﷺ: «تَكُونُ النَّسَمُ- يعني: الأرواح- طَيْرًا تَعْلُقُ بِالشَّجَرِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَخَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي جَسَدِهَا»[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٩١)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٨٩١): إسناده جيد.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٤)، والحاكم (٣٨٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٣٨٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٧٩).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يَعْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»[(١)].

وجاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾ [سورة الفجر:٢٧، ٢٨] أنه قال: «تُردُّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد»[(٢)].

وجاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في قوله تعالى: «﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾، أي: المؤمنة، وفي قوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، يقول: إلى جسدك»[(٣)].

وقال ابن كثيرٍ في (تفسيره): «وقال العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، يعني: صاحبك، وهو بدنها الذي كانت تعمُرُه في الدنيا ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾»[(٤)].



(١) أخرجه أحمد (١٥٧٨٠)، والترمذي (١٦٤١)، والنسائي في الكبير (٢٢١١)، وصححه الترمذي.
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٩٧)، بسند ضعيف.
(٣) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٢٤).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٠).

السؤال الرابع والسبعون

ما الصُّور الذي يُنفخ فيه لقيام الساعة؟ وما صفته؟

عن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصُّور؟ قال: (قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)»(١).

وأخرج ابن جرير الطبري بسند صحيح عن مُجاهد- وهو تابعي من تلامذة الصحابة- قال: «هو شيء كهيئة البُوق»(٢).

فهو قرنٌ كالبُوق يَنفخ فيه المَلَكُ المُوكل به، فتخرج منه صيحة عظيمة يُصعق منها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعثون.

وهذه الصيحة التي يُحْدِثها النفخ في الصُّور هي التي ذكَرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [سورة يس:٥١-٥٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وحسنه الترمذي.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٠٢) بسند صحيح كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٥٥٩).

والصُّور هو النَّاقُور الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [سورة المدثر:٨، ٩]، فقد أخرج ابن جرير الطبري بسند صحيح عن مُجاهد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [سورة المدثر:٨] أنه قال: إذا نفخ في الصور[1].

ويُسمَّى القرن، كما في قول النبيِّ ﷺ: «كيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ»[2].

فهذا الشيء الذي ينفخ فيه يُسمَّى: الصُّور، والقرن، والناقور.



---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤١٩)، بسند صحيح كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٥٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٦٩٦)، والترمذي (٣٢٤٣)، والنسائي في الكبرى (١١٠١٦)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٨٢٣)، وصححه أيضًا الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨٢٠).

السؤال الخامس والسبعون

مَن المَلَكُ المُوَكل بالنفخ في الصور؟

الجواب: قيل: هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لكن ذلك لم يأت صريحًا في أيِّ روايةٍ ثابتةٍ عن رسول الله ﷺ، بل جاءت الروايات الثابتة تطلق عليه: صاحب الصُّور، أو صاحب القرن.

فعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: (كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ). قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: (قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا)»[1].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٩٦)، والترمذي (٣٢٤٣)، والنسائي في الكبرى (١١٠١٦)، وحسنه الترمذي.

(٢) أخرجه أحمد (١١٦٩٦)، والترمذي (٣٢٤٣)، والنسائي في الكبرى (١١٠١٦)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٨٢٣)، وصححه أيضًا الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨٢٠).

مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحوَ العَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ»[1].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «صَاحِبُ الصُّورِ وَاضِعٌ الصُّورَ عَلَى فِيهِ مُنْذُ خُلِقَ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنفُخَ فِيهِ فَيَنْفُخُ»[2].

أمَّا ما جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «فَيَأْمُرُ اللهُ ﷻ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ»، فهو حديث ضعيف[3].



(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٩١)، والحاكم (٨٦٧٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٧٨).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٥٢).

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٠٩)، وضعفه الألباني في تعليقاته على الطحاوية (٢٣٢).

السؤال السادس والسبعون

في أي أيام الأسبوع تنفخ أولُ نفخة في الصُّور؟

الجواب: في يوم جمعة.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ**»[2].



(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).
(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢).



دعوة لليقظة

أيها القارئ الكريم، ذَكَرًا كنت أو أنثى، كبيرًا كنت أو صغيرًا، هيا معي نستيقظ من غفلتنا، ونُفيق من سكرتنا، ونقوم لله من رَقْدتنا، وننفض عن كواهلنا غبار التِّيه في دُرُوب الدنيا وأحوالها، من قبل أن يأتي الموتُ أحدَنا فجأةً، فيقطع عليه الطريق، فيقال له: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [سورة ق:٢٢].

واسمع معي إلى نداء الله جَلَّ وَعَلَا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون:٩-١١].

واعلم أن الدعوة إلى يقظة القلب من غفلته، وقيامه من رقدته هي دعوةٌ من الله تعالى لعباده حين قال لهم سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سورة سبأ:٤٦]، وحين قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، قُمْ إِلَيَّ»[١].

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٢٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٧).

وانظر معي إلى فِتْيةِ سورة (الكهف) ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ [سورة الكهف:١٤]، قاموا من ماذا؟، إنها قَوْمَةٌ من الغفلة التي كان يعيشها المجتمع آنذاك، فمدحهم ربُّهم، وجعلهم أُسْوةً للأجيال من بعدهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سورة الكهف:١٣-١٥].





دعوة للتوبة وردّ المظالم

فإذا استيقظت من غفلتك، وقمت من رقدتك، وأبصرت الطريق، فستجد فيه علامات وضعها الوحي لتضبط سَيْرك فيه حتى لا تضل، ولا تشقى، ثم تصل بسلامٍ من خلاله إلى جنات النعيم.

ومن أعظم هذه اللافتات دعوة رب العالمين لعباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [سورة التحريم:٨].

وفي قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [سورة النور:٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [سورة النساء:٢٧].

فهي دعوة ربانية تأتيك في كل ليلةٍ حين ينادي اللهُ على عباده في ثلث الليل الآخر قائلًا: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِـي، فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥).

فكان نبيُّنا وحبيبنا ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

فمن أخَّر التوبة بعد ذلك، فهو ظالمٌ لنفسه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الحجرات:١١].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧، ١٨].

ومهما عملت من الذنوب، ثم تبت، تاب اللهُ عليك، فهو القائل سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

بل ومِن سَعة فضله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنك إن صدقت التوبة، سيبدل سيئاتك حسنات، فهول القائل سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان:٧٠].

وقد جاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سبب نزول هذه الآية: أن أناسًا أتوا النبيَّ ﷺ تائبين، يسألونه عن كفَّارة وقوعهم في الشرك والقتل والزنا والفواحش، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان:٦٨-٧٠]، قال: ونزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣][1].

وقال النبيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)»[2].

---

(١) انظر صحيح البخاري (٤٨١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وحسنه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧).

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ، لَتَابَ عَلَيْكُمْ»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

وقد جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ وقد أسرف على نفسه في المعاصي، فقال: «أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها، فلم يترك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترك حاجةً، ولا داجَّةً إلا أتاها، فهل له من توبةٍ؟ قال ﷺ: (فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟). قال: أمَّا أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله. قال ﷺ: (نَعَمْ، تَفْعَلُ الخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ). قال: وغدراتِي وفجَراتِي؟ قال: (نَعَمْ). قال: الله أكبر! فما زال يُكبِّر حتى توارى(٣).

وأعظم ثمرات التوبة: حبُّ الله للعبد:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

وهنيئًا في الدنيا والآخرة لمن أحبَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أما في الدنيا، فسيجد قول النبيِّ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٨)، وحسَّنه البوصيري في الزوائد، والألبانـي في الصحيحة (٩٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٣١٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٢): رواه الطبراني والبزار بنحوه، ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيط، وهو ثقة. وصححه الألبانـيُّ في الصحيحة (٣٣٩١).

يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»[(١)].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم:٩٦]»[(٢)].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَيُحَبُّ»[(٣)].

وفي الآخرة سيجد قول النبيِّ ﷺ: «لَا وَاللهِ، لَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»[(٤)].

فهذه ثمرة التوبة التي قال الله عنها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم:٦٠].

والسؤال المهم الذي يطرح نفسه: كيف أتوب؟

الجواب: تستطيع أن تتوب الآن وأنت تقرأ هذه السطور، بأن تخرج كلماتٍ من قلبك النادم، يلهج بها لسانك الصادق، تعلن بها عن بداية صفحةٍ جديدةٍ في علاقتك مع الله، تعلن بها عن توبة نصوح ترجو بها أن يبدل الله سيئاتك حسنات.

تستطيع أن ترفع يديك الآن متضرعًا بدعاء سيد الاستغفار.

فقد قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٦١)، وصححه.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٦١٥)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه أحمد (١٣٤٦٧)، وصححه الحاكم (١٩٤)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢٣).

أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قال ﷺ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

أو تدعو بدعاء النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢).

وكان ﷺ يدعو قائلًا: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»(٣).

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٤).

وكان ﷺ يقول: «إِنَّ أَوْفَقَ الدُّعَاءِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٧١٩).
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٣).
(٤) أخرجه البخاري (٧٩٩)، ومسلم (٢٧٠٥).

ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي يَا رَبِّ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[(٢)].

والأجمل من ذلك أن تدعو بهذه الدعوات أو إحداهن وأنت ساجد بين يدي ربك التواب الرحيم، أثناء صلاتك لركعتين خاشعتين.

فعن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ:

(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَلِكَ الذَّنْبِ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ)، قال: وقرأ هاتين الآيتين: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء:١١٠]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥])[(٣)].



(١) أخرجه أحمد (١٠٦٩٣)، وصححه الأرنؤوط.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٧٧)، وأبو داود (١٥١٧)، وصححه الألباني والأرنؤوط.
(٣) أخرجه أحمد (٤٧)، وصححه أحمد شاكر والأرنؤوط، وكذلك الألباني في صحيح أبي داود (١٣٦١).



شروط التوبة

واعلم- رحمك الله- أن للتوبة شروطًا لا تصح إلا بها، من أهمِّها:

أولًا: الندم على ما قدمت من ذنوب ومعاصٍ:

فقد قال النبيُّ ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ**»(٢).

وقال ﷺ لأُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ: النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ**»(٣).

فالندم هو ركن التوبة الأعظم، وانظر ماذا قال الله تعالى في قصَّة توبة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة:١١٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥٦٨)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، وصححه ابن حبان (٦١٢)، والألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٢٣)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٩٩)، وحسَّنه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٣٢٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٠٨).

ثانيًا: الإقلاع عن الذنب فورًا، والعزم على عدم العودة إليه:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥، ١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٧، ١٨].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ، زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٤]»(١).

وقال ﷺ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا أَقْلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ»(٢).

ثالثًا: المداومة على العمل الصالح:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، والترمذي (٣٣٣٤)، وصححه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠)، وصححه الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (٥٠٩).

ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [سورة الفرقان:٧٠، ٧١].

فإنَّ المداومة على العمل الصالح من أعظم البراهين على صدق التوبة، ومن أعظم أسباب محو السيئات؛ سواء كان هذا العمل باللسان كالاستغفار والذكر، أو بالبدن كالصلاة أو الحج، أو بالمال كالزكاة والصدقة.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود:١١٤].

وقد قال النبيُّ ﷺ لأُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ: النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ»[1].

وقال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»[2].

رابعًا: ردُّ مظالم العباد:

فقَدْ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [سورة طه:١١١].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٣٢٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٠٨).
(٢) أخرجه أحمد (١٥٢٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(١).

وفي روايةٍ قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، حَمَّلُوهُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال ﷺ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(٣).

وقال ﷺ: «تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ، حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»(٤).



---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٩)، وصححه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٢٨٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٧٣).



سعادة الدنيا للمؤمن قبل سعادة الآخرة

اعلم- رحمك الله- أن الله وعد المؤمن التقي بسعادةٍ في الدنيا، وإن مات وعَده بسعادةٍ في برزخه، وإذا قامت القيامة أدخله جنات النعيم، فهنيئًا لك أيها العبد المؤمن التقي.

وإليك قَبَسات مما جعله الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من مكافآتٍ في دنياهم قبل آخرتهم:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور:٥٥].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الأعراف:٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [سورة الجن:١٦].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة النحل:٣٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ»[1].

وفي روايةٍ: «وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»[2].



(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).



الموت ليس النهاية

تذَكَّرْ معي - رحمني الله وإياك - أن الله ما خلقنا لنعيش في هذه الدنيا خالدين، بل خلقنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنعيش فيها فترة امتحان فيما أمر به، وما نهى عنه، فهو القائل عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سورة الملك:٢].

فالموت ليس نهاية الإنسان، بل هو نهاية هذا الامتحان، وبعده خلودٌ يرى الإنسان فيه نتيجة ما قدَّم في دنياه، فقد قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٥٧، ٥٨].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

فأعقل الناس وأعلمهم بحقيقة الدنيا والآخرة، هو أشدُّهم وأحسنهم استعدادًا للموت وما بعده؛ فقد سُئل رسول الله ﷺ: أي المؤمنين أكيس- يعني: أعقل- فقال ﷺ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ»(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٨٤).

وقد جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ**»(١)، ومعنى «**دَانَ نَفْسَهُ**»: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في الآخرة(٢).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر، وإنما يخفُّ الحساب يوم القيامة على مَن حاسب نفسه في الدنيا»(٣).

وقد جاء في نداءات ربِّ العالمين لعباده المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [سورة الحشر:١٨-٢٠].

قال قتادة في قوله تعالى ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [سورة الحشر:١٨]: «مازال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغدٍ، وغد يوم القيامة»(٤).



---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩)، وحسنه، وصححه الحاكم (٧٦٣٩)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٣٠٣)، وضعفه الألباني في تحقيق رياض الصالحين (٦٧).

(٢) انظر سنن الترمذي (٢٤٥٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٢)، وقال الألباني في الضعيفة (٣/ ٣٤٦): إسناده جيد.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٤٧) بسند حسن كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٤٦٨).



الخاتمة

وفي الختام: أرجو أن أكون قد استوعبت في هذا الكتاب كل أو أغلب ما يحتاج المسلم معرفته عن عالم البرزخ وأحداثه من خلال الكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه الصحابة وسلف الأمة- رضي الله عنهم أجمعين-.

فما وجدتم فيه من توفيقٍ وسدادٍ، فمن الله العظيم الكريم وحده، وإن وقع فيه خطأٌ أو زللٌ أو نسيانٌ، فمنِّي ومن الشيطان، والكتاب والسُّنَّة منه بريئان.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبَّله سبحانه بواسع فضله ورحمته، وأن يكتب له القبول في الأرض، وأن ينفع به الناس أجمعين.

وبعد شكر ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا أنسى أن أتوجه بالشكر إلى مَن أعانني من شيوخي وإخواني في مراجعة هذا الكتاب، كما أتوجه بالشكر أيضًا إلى كل من أسهم في طباعته ونشره، فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا وحبيبنا مُحمَّد

والحمد لله رب العالمين

كتبه

حامد الزيني

بعد صلاة ظهر يوم السبت

١٥رجب١٤٤٢هـ - ٢٧ فبراير ٢٠٢١م



المراجع والمصادر

- **أولًا: القرآن الكريم.**
- **ثانيًا: كتب التفسير وأسباب النزول:**

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري.

٢- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي.

٥- معالم التنزيل، للبغوي.

٦- تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

٧- تفسير مقاتل بن سليمان.

٨- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور/ حكمت بن بشير بن ياسين.

٩- صحيح تفسير ابن كثير، للشيخ مصطفى العدوي.

١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ الشنقيطي.

١١- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي.

١٢- أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري.

١٣- الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي.

١٤- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية.

١٥- أصول التفسير ومناهجه، للدكتور/ فهد الرومي.

١٦- تفسير الصحابة، للدكتورة/ زينب عبد العزيز الجريوي.

- **ثالثًا: كتب الحديث وشروحه:**

١- صحيح البخاري.

٢- صحيح مسلم.

٣- مسند أحمد.

٤- سنن الترمذي.

٥- سنن أبي داود.

٦- سنن ابن ماجه.

٧- سنن النسائي الكبرى والصغرى.

٨- سنن الدارمي.

٩- سنن الدارقطني.

١٠- مسند أبي يعلى الموصلي.

١١- مسند البزار.

١٢- صحيح ابن حبان.

١٣- صحيح ابن خزيمة.

١٤- مسند الحارث ابن أبي أسامة.

١٥- المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق/ مصطفى العدوي.

١٦- حلية الأولياء، لأبي نعيم.

١٧- السنة، لابن أبي عاصم مع تعليق الألبانـيِّ المسمى: ظلال الجنة.

١٨- شعب الإيمان، للبيهقي.

١٩- البعث والنشور، للبيهقي.

٢٠- إثبات عذاب القبر، للبيهقي.

٢١- دلائل النبوة، للبيهقي.

٢٢- مصنف عبد الرزاق، للصنعاني.

٢٣- مصنف ابن أبي شيبة.

٢٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني.

٢٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني.

٢٦- صحيح موارد الظمآن، للألباني.

٢٧- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، للألباني.

٢٨- صحيح الترغيب والترهيب، للألباني.

٢٩- صحيح الجامع، للألباني.

٣٠- مستدرك الحاكم ومعه تلخيص الذهبي.

٣١- التلخيص الحبير، لابن حجر العسقلاني.

٣٢- الصحيح من أحاديث السيرة، للصوياني.

٣٣- صحيح الأدب المفرد، للألباني.

٣٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي.

٣٥- أحاديث البرزخ في الكتب التسعة، لمحمد حيدر مهدي.

٣٦- المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، لصهيب عبد الجبار.

٣٧- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، لصهيب عبد الجبار.

٣٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.

٣٩- معاجم الطبراني الثلاثة.

٤٠- شرح صحيح البخاري، لابن بطال.

٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر.

٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي.

٤٣- شرح صحيح مسلم، للنووي.

٤٤- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للنووي.

٤٥- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي.

٤٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي.

٤٧- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة.

٤٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي.

٤٩- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، للمباركفوري.

٥٠- شرح مشكل الآثار، للطحاوي.

٥١- الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد الشيباني، للبنا الساعاتي.

٥٢- التمهيد، لابن عبد البر.

٥٣- سبل السلام، للأمير الصنعاني.

٥٤- التنوير شرح الجامع الصغير، للأمير الصنعاني.

٥٥- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن.

٥٦- العلل المتناهية، لابن الجوزي.

٥٧- تنبيه الهاجد، للشيخ أبي إسحاق الحويني.

٥٨- النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني.

٥٩- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لشهاب الدين البوصيري.

• **رابعًا: كتب الفقه وأصوله:**

١- المنتقى، لأبي الوليد الباجي.

٢- بدائع الصنائع، للكاساني.

٣- الشرح الكبير، للخرشي.

٤- المجموع، للنووي.

٥- المغني، لابن قدامة.

٦- المحلى، لابن حزم.

٧- كتاب الأم، للإمام الشافعي.

٨- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٩- أحكام الجنائز وبدعها، للألبانـيِّ.

• **خامسًا: كتب اللغة والمعاجم:**

١- لسان العرب، لابن منظور.

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

٣- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني.

٤- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني.

٥- مطالع الأنوار على صحيح الآثار، لابن قرقول.

• سادسًا: الكتب العقدية والفكرية وغيرها:

١- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية.

٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية.

٣- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي.

٤- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم.

٥- بدائع الفوائد، لابن القيم.

٦- الروح، لابن القيم.

٧- مدارج السالكين، لابن القيم.

٨- جلاء الأفهام، لابن القيم.

٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي.

١٠- القبور، لابن أبي الدنيا.

١١- الآيات البينات في عدم سماع الأموات، لنعمان الآلوسي، تحقيق الألباني.

١٢- العقيدة في الله، للدكتور/ عمر الأشقر.

١٣- القيامة الصغرى، للدكتور/ عمر الأشقر.

١٤- الموت وعالم البرزخ، لماهر أحمد صوفي.

١٥- معارج القبول، لحافظ بن أحمد حكمي.

١٦- حياة البرزخ في ضوء الكتاب والسنة، لشادي فوزي بشكار.

١٧- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور/ صالح الفوزان.

١٨- أهوال القبور، لابن رجب الحنبلي.

١٩- الإيمان عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري.

٢٠- الإنسان والغيب، للدكتور/ حبيب الله حسين أحمد.

٢١- مفهوم الغيب في القرآن والحديث، للدكتور/ إدريس مولودي.

٢٢- الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن وهف القحطاني.

٢٣- الإسراء والمعراج، للألباني.

٢٤- الإسراء والمعراج، لأحمد الجابري.

٢٥- سكب العبرات للموت والقبر والسكرات، للدكتور/ سيد العفاني.

٢٦- الشهادتان، للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم.

٢٧- الإحسان إلى الأموات وما يصل إليهم من ثواب القربات، للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم.

٢٨- جبريل يسأل والنبيُّ ﷺ يجيب، للدكتور/ محمد حسان.

٢٩- صحابة عظماء لم تسَلط عليهم الأضواء، تأليف/ حامد الزيني.





فهرس الموضوعات



صدر للمؤلف عن دار اليسر



تأليف

حامد الزيني

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد يسري إبراهيم

